Amona Adel
غابة الموت

-

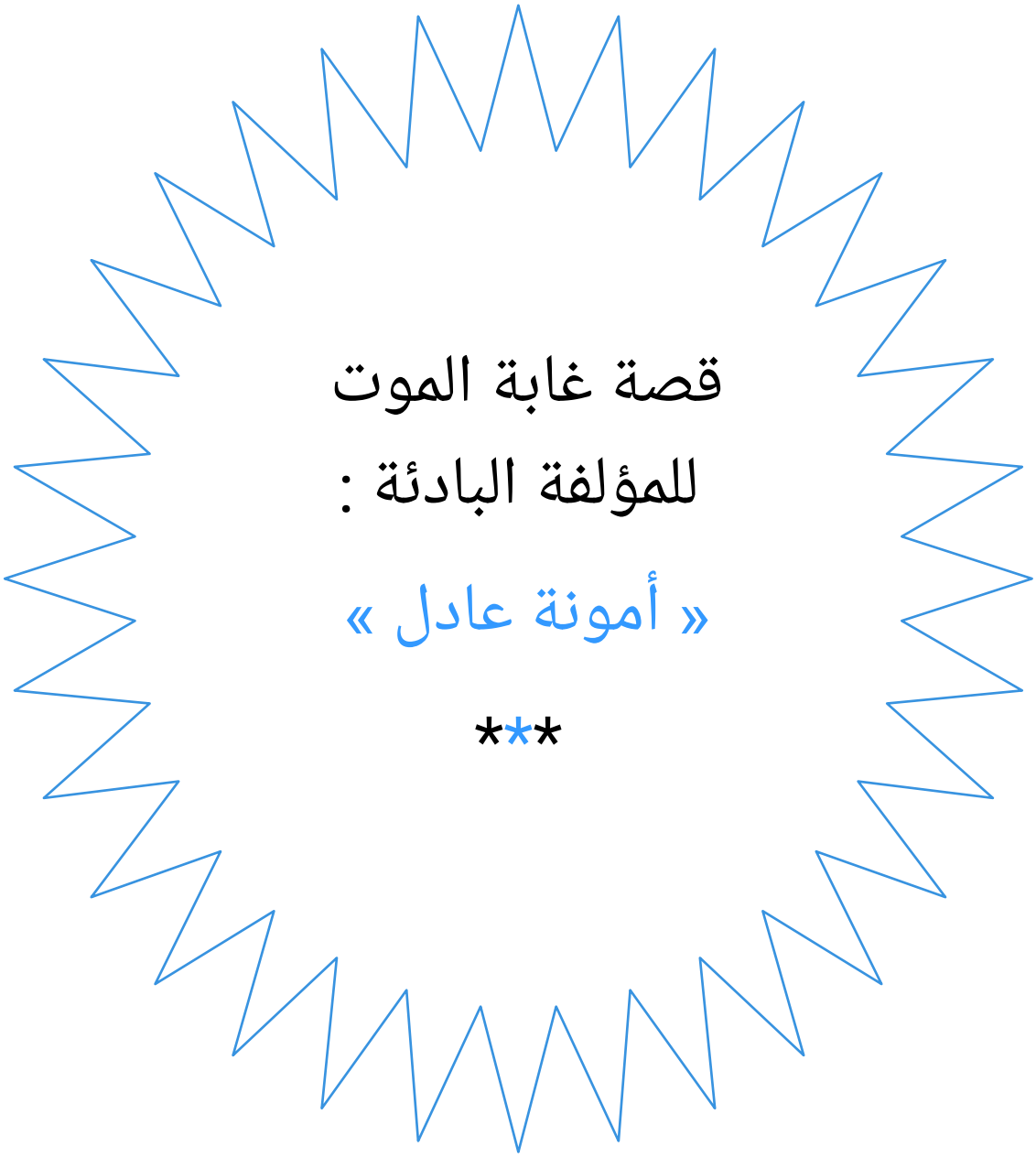

قصة غابة الموت

للمؤلفة البادئة :

« أمونة عادل »

***

« سيكون يوم الغد ممتعاً ، سأحظى أخيراً بمغامرة حقيقية لم أحظى بها منذ وفاة والديّ وأنا في السادسة من عمري .. مغامرة أسطورية قد تغير مجرى حياتي إلى الأبد .. هه ، أنا أعرف أنني أبالغ قليلاً فأنا أحب أن أخلق المغامرات خلقاً من أحداثٍ تافهة وعادية ، لكن مع هذا لدي شعورٌ قوي بأن هذه المرة ستكون مختلفة !.. ستكون حقاً مغامرة، لأن أخي ألفن يريد أن يبحث عن صديقه جاك، وأنا بصفتي أخته الوحيده والمحبة للمغامرة سأذهب معه .. نعم ، يجب أن أذهب معه لسبب آخر وهو أنني أستطيع القول إنه جبان .

اختفى جاك قبل ثلاثة أيام ، وحالة والديه مزرية !.. تتبعنا مكان هاتفه فوجدنا أنه في الغابة ، السيد والسيدة براون _ وهما والديه _ أوكلانا أنا وأخي بالبحث عنه ، لا أعلم إن كنا سنجده فهما قد ذهبا للبحث عنه فعلاً قبلنا

ولكنهما لم يجدا له أثراً !.

أخبرنا الشرطة فقالوا إن هذا يحدث كثيراً من قِبل المراهقين ، إذ يتركون البيت في لحظةٍ من الغضب ثم يعودون بعد عدة أيام ، لكن لا ! هذه ليست حجة مقبولة ، إن الشرطة في الواقع أشخاص كسالى ولن يجدوه مهما بحثوا عنه لأنهم ببساطة لا يريدون إيجاده ولا يهتمون ، جدتي كانت تقول لي دائماً أن لا أعتمد على الشرطة في شيء ، ولقد صدقت جدتي !.. لهذا نحن ذاهبان في الغد إلى الغابة ، وأنا متحمسة جداً الآن! » .

ثم أغلقت كاترين دفتر مذكراتها وأدخلته في حقيبة كانت قد جهزت بها بعض الأشياء للغد ونهضت عن السرير لتصادف شقيقها ألفن يقف أمام النافذة شارد الذهن ، حتى أنه لم يشعر بإستيقاظها أو بخطواتها البطيئة نحوه ، إلا أنه

قفز هِلعاً فإذ بصرخةٍ قوية تخترق طبلة أذنه على حين فجأة ، نظر بهلعٍ يمازجه غضب ليجد أخته كاترين وقد أنفجرت ضاحكةً ملء شدقيها ، فصرخ قائلاً : لقد أرعبتني أيتها المجنونة ، ألا تعلمين كم الساعة الآن ؟!.

فقالت ضاحكة : نعم ، كنتُ أعرف أنك جبان ! .

_ ماذا تفعلين الآن ، لمَ أنتِ مستيقظة ؟

_ أنا أيضاً أريد أن اسألك السؤال نفسه .

_ ليس بي شيء . هيا اذهبي للنوم .

فقالت بجفاء : يا عزيزي ، يمكنك أن تخدع الجميع لكن ليس أنا . ما بك ؟

قالت آخر ما قالته بقلق وإهتمام ، فقال بعد قليلٍ من الصمت : آه .. أنا قلق من الغد ، لا أشعر بالإرتياح من هذا كله. أعني ، كيف يمكن أن يختفي جاك بهذه الطريقة الغامضة ، كأنه تبخر في الجو وضاع ! ولمَ هاتفه في الغابة ،

ما الذي جعله يذهب إلى هناك ؟ أنا فعلاً متحير وقلق جداً.

فقالت مشجعة : أوه.. ألفن ، لا تقلق كل شيء سيكون بخير ، غداً سيكون من أجمل الأيام ، سأذكّرك .

قال محاولاً تشجيع نفسه بأية طريقة ممكنة :

_ أتظنين ذلك ؟

_ طبعاً .

_ حسناً ، هيا إلى النوم يا أختي الصغيرة الوقت متأخر .. قال هذا وهو يتجه عائداً إلى السرير بعد أن أمسك كتفها لبرهة ، ثم توقف فجأة كأنما تذكر شيئاً ، وقال مؤنباً : ثم إياكِ وتكرار قول إنني جبان ، أتفهمين ؟

_ هاهاها !.

*****

وفي صباح اليوم التالي ، وفي منزل جاك ،

تجلس السيدة إيفين براون على أحد المقاعد وقد تورمت عيناها من كثرة البكاء ، وتفكر في ابنها الوحيد المدلل الذي اختفى فجأة عن الوجود ، ثم نهضت بعد أن سمعت رنين جرس الباب ، فوجدت كاترين التي سارعت بالقول : صباح الخير سيدة براون ، لقد كنت قلقة عليكِ .. كيف حالك ؟

فقالت وهي تتهالك على ذلك المقعد الوثير : وما رأيكِ بحالي ؟

_ أوه .. أنا آسفة لهذا ، لكنني أعدك أن نجد أخباراً عن أبنكِ اليوم سأبذل كل ما لدي !.

فقالت الوالدة بيأس : كل ما أريده الآن هو معرفة ما إذا كان ابني على قيد الحياة أم لا ، لقد أشتقتُ له كثيراً .. اااه !

ثم بدأت بالبكاء مجدداً وظلت كاترين تربّت على كتفها محاولةً تهدئتها لبعض الوقت ، ثم

دخل السيد براون إلى المنزل وقال بعد ما رأى من حالة زوجته : عزيزتي إيفين يجب أن لا تفقدي الأمل بهذه السرعة ، ولا تبكي طوال الوقت فأنتِ تصيبينني باليأس معك .. جاك سوف يعود إلينا ، أنا أشعر بذلك .

فقالت السيدة براون وهي تمسح عينيها بمنديل : هل عرفتَ أي شيء عن هذه الغابة ؟ ما مدى خطورتها ، وهل ذهب إليها أحد من قبل ؟

_ نعم ، علمتُ من بعض الأشخاص الذين يسكنون بالقرب منها أنها غابة هادئة جداً ، لم يسمع أحد منها أي صوت لحيوان مفترس ، ولكن لا يمكنني القول إنها خالية من مثل هذه الحيوانات .

_ نحن سوف نرسل طفلين إلى هناك ، كيف تقول إنك غير متأكد !

فقالت كاترين : ألفن في الثامنة عشر من عمره، هو ليس طفلاً .

_ مع هذا إنه لايزال صغيراً ، ، لقد غيرت رأيي أتعلمين يا كاترين أنا لن أسمح لكما بالذهاب ، ألا يكفي أننا خسرنا واحداً ، لن أسمح بخسارتكما أيضاً!

فصاح كلٌ من كاترين والسيد براون قائلين : ما هذا الكلام ؟!!

وقال السيد براون : جاك لم يمت ، إياكِ وتكرار هذا القول مجدداً !

وقالت كاترين : نعم ، وأرجوكِ لا تقلقي عليّ وأخي سنكون بخير . الغابة ليست بهذا الخطر ، ويمكننا التعامل مع الحيوانات ، سيدتي أنا وأخي لازلنا مصرّين على الذهاب.

_ لا ، لا أستطيع سؤالكِ أنتي يا كاترين ، أنتي فتاة متهورة وتحبين المغامرة ، كما إنك أصغر

من ألفن لذا.. أنا أحتاج للتحدث مع ألفن بهذا الشان .

قالت هذا وأخذت معطفها وخرجت من المنزل بسرعة ، في الوقت الذي كانت فيه كاترين تقول لنفسها : ألفن ؟! .. قد يضيع هذه الفرصة علي ، لا يمكنني التنبؤ بما سيقوله ذلك الفتى!

فلم تطق كاترين صبراً لتعرف ما يقوله ألفن لإيفين في هذه اللحظة ، فهرولت إلى بيتهما الصغير حيث كانت السيدة براون تحدّث ألفن بهدوء ، فما كان من كاترين إلا أن ألصقت أذنها بالباب ، ولكنها لم تسمع شيئاً غير قول السيدة براون لألفن : حسناً ، أنا أثق بك يا عزيزي .

فهتفت كاترين بسعادة قائلة : أجل!

*****

وحان وقت الإنطلاق ، وقف ألفن بجانب

كاترين التي كانت ترتدي بنطالاً ضيقاً بلون أسود ، وقميصاً أنيقاً يصل إلى ما يعلو ركبتيها بقليل مع معطف أسود بطول القميص ، وتربط شعرها القصير ذا اللون الستنائي كذيل الحصان . فيما كان ألفن يرتدي معطفاً ثقيلاً أزرق اللون ويربط حول عنقه وشاحاً . وكانا يقفان أمام السيد والسيدة براون التي كانت تمسك وشاحاً بلونٍ قرمزي قبيح جعل كاترين تشمأز من شكله ، ثم أعطته السيدة لكاترين وهي تقول :ارتدي هذا يا عزيزتي ، لا شك أن البرد قارس في الغابة .

فنظرت إليه كاترين وهي تقول في نفسها : « يا للهول !.. أتّى لي ارتداء هذا الشيء البشع ؟ » . إلا أنها أخذته مرغمة وهي تشكرها بإبتسامة مصطنعة . ثم قال السيد براون : كونا على حذر ، أتفقنا ؟

فأجاب ألفن : لا تقلق علينا يا سيدي .

وقالت كاترين : حسناً ، وداعاً الآن .

فاقتربت السيدة براون من كليهما وعانقتهما معاً وهي تقول : شكراً جزيلاً لكما يا عزيزيّ ، أرجوكما عودا بجاك وكونا بخير .

ثم ركبا إلى السيارة وانطلقا لتبدأ بهذا مغامرتهما .

*****

وعند وصولهما كانت الشمس قد بدأت بالغروب وكان هناك رجل عجوز يجلس على كرسي بصمت ، ونهض حالما رآهما ، وهرول تجاههما وهو يقول : إلى أين أنتما ذاهبان ؟ أتنويان دخول الغابة ؟.. لا أظنكما عاقلين لتفعلا هذا .

فسأله ألفن مستغرباً : لماذا ؟

قال العجوز ساخراً : هه أنت تمزح طبعاً أيها الفتي .

فنظر الأخوين كلٌ إلى وجه الآخر ، ثم قال

ألفن : عذراً ؟

_ أحقاً أنتما لم تسمعا عن الرجل ؟!

_ الرجل ؟

_ الرجل !.

ثم قالت كاترين بعصبية : سيدي أيمكنك أن تكون واضحاً أكثر ؟ عن أي رجل تتحدث ؟

قال العجوز دهِشاً : لا أصدق أنكما لم تسمعا عن الرجل الذي يتربص للناس في الظلام داخل هذه الغابة ، ألم تعرفا حتى أن اسم هذه الغابة هو " غابة الموت " ؟!!

فنظر كلٌ من ألفن وكاترين إلى بعضهما وهما مستغربان من كلام هذا العجوز ، ويفكر كلٌ منهما بأنه بالتأكيد قد فقد عقله منذ أمد بعيد

ثم قالت كاترين : سيدي ، أرجوك لاتحاول منعنا من الدخول إلى الغابة بهذه الحجّة السخيفة ، لدينا عمل علينا انجازه .

فنكس العجوز رأسه بحزن وقال : أدرك أنكما لن تصدقا ما أقوله لكنني فقط أحذركما يا ولديّ ، هذه الغابة خطرة جداً .

وبسبب ما يتميز به ألفن من رقة في قلبه ، رفض تكذيب العجوز والتهكم عليه ، فقال : إذن يا سيدي ، أيمكنك أن تخبرنا أكثر عن هذا الرجل ؟

_ ماذا يمكنني أن أخبرك عن رجل غامض كهذا ؟.. كل ما أعرفه هو أنه يقتل كل من يبقى في الغابة حتى منتصف الليل .

فقالت كاترين وقد تكلفت رسم إبتسامة على وجهها : عظيم !.. لن يتطلب منا هذا حتى منتصف الليل ، شكراً .

وأمسكت بألفن تجره ليمضي قُدماً ، ولكن ما كان ألفن _ وهو الشخص الحذر جداً ، بالإضافة لكونه الأخ الأكبر _ ما كان ليقبل

الدخول قبل الحصول على المعلومات الوافية عن الأمر ، فقال لكاترين : لا أعلم ، لايمكنني التنبؤ بما في الداخل يا أختي ، لذا يجب أن نكون على قدر كبير من الحذر .

فهتف العجوز : أحسنت يا بني !.. تصرفٌ عاقل ، يمكنكما المغادرة الآن والعودة في الصباح الباكر من يوم الغد .

وقالت كاترين بضجر : اه بربك يا ألفن هذا جنوني !.. لا يمكننا العودة بعد كل ذلك الطريق !

ـ عزيزتي ، سنعود غداً هذا سيكون مريحاً أكثر .

. تباً !.. أكره أن أكون الأخت الأصغر ! .

ثم ركبا في السيارة مجدداً ، إلا أن مشكلة قد صادفتهما في السيارة ، وبعد أن تفقدها ألفن قال : لم يعد لدينا وقود .. لقد قطعنا مسافة

طويلة إلى هنا ونغد خزان الوقود .

فقالت كاترين بجفاء : ألم تحضر إحتياطياً منه أيها الأخ الأكبر ؟ .

_ لم أفعل لسوء الحظ .

_ حسناً ماذا الآن ؟

ثم قال العجوز وهو يتقدم ناحيتهما : يبدو لي أنكما تواجهان مشكلة ، هل أستطيع المساعدة ؟ .

أجاب ألفن : نفد منا الوقود ، أتملك القليل منه ؟ .

. للأسف لا ، فأنا لا أملك سيارة كما تعلمان .

. ماذا سنفعل الآن؟ البيت بعيد جداً !.

فقالت كاترين : حسناً هيا ندخل الغابة يا ألفن .

فصرخ العجوز بهلع قائلاً : لا !.. لا تفعلا أرجوكما لن تكونا بخير .. اسمعا ، ما رأيكما أن

تبيتا في منزلي الليلة ؟ أنا أعيش هنا .

قالت كاترين لنفسها وهي تنظر إلى العجوز بإشمئزاز : « حقاً !.. لمَ يكترث هذا الخرف بأمرنا على أية حال ؟.. ما شأنه إن دخلنا أم لم نفعل ؟! » .

فيما قال ألفن : هذه تبدو فكرة جيدة .

فقالت كاترين التي فقدت كل سيطرة على أعصابها : لا أصدق يا ألفن !.. هل ستفعل أي شيء كي لا تدخل الغابة اليوم ؟!.. حقاً ممَ أنت خائف ؟.

_ أختي ، علينا أن نكون حذرين دائماً .

_ هذه مبالغة !.. لم يعد هذا حذراً بل جُبن كبير !.

فقال العجوز قاطعاً على كاترين إنفجارها : هيا تفضلا يا ولديّ .. المنزل من هنا .

كانت كاترين تنظر إليه بكرهٍ يشبه الكره

الصادر عن الأطفال حين يُمنع عنهم القيام بما يريدون القيام به بشدة ، وتمتمت بصوتٍ لا يكاد يُسمع قائلة : نحن لسنا ولديك .

وقال العجوز الطيب موجهاً كلامه إلى ألفن : بالمناسبة ، ما هو اسمك يا بني ؟

_ أنا ألفن وأختي كاترين ، ماذا عنك ؟

_ يمكنك مناداتي بجورج .

*****

وقف الثلاثة أمام مبنى طويل ومخيف ، كان الطابق الأرضي وحده _ من بين أربعة طوابق _ هو الذي يبدو صالحاً للسكن ، أما بقية الطوابق فكانت نوافذها محطمة وتبدو كما لو أنها مسكونة ، قال جورج للأخوين : هيا تفضلا معي يا ولديّ .

ولكنهما كانا متسمرين في مكانهما ، فقط ينظران إلى المنزل بخوف وقلق مما قد يوجد

داخل هذا المبنى المخيف ، ثم فتح جورج الباب وقال : هيا ، أدخلا .

فالتفت الأخوين كلٌ إلى وجه الآخر ، وتبادلا الشجاعة معاً ودخلا .. وهنا كانت المفاجأة ، فالمنزل يبدو مرعباً من الخارج ، ولكنه عكس ذلك تماماً من الداخل .. منزل مرتب ونظيف للغاية ، صحيح أن أثاثه قديم الطراز بعض الشيء ، إلا أنه يشرح صدر من يدخله .. وسرعان ما ظهرت سيدة عجوز ترتدي ثوباً نظيفاً وتضع منديلاً على رأسها ، وتتصاعد منها رائحة الصابون وقالت عندما رأت السيد جورج : أوه .. جورج ، لقد عدت باكراً اليوم .

فقال : عزيزتي ، لدينا ضيوف اليوم .. الأخوان ألفن وكاترين ، ثم التفت إليهما وقال : هذه زوجتي ماري .

فرفع ألفن يده وحياها بأدب قائلاً : مساء الخير سيدة ماري .

_ آه .. أهلاً بكما ، اجلسا أرجوكما .. العشاء جاهز الآن يمكننا تناوله معاً .

وبينما هم يتناولون العشاء قالت السيدة ماري : إذن .. لمَ أنتما ذاهبان إلى الغابة ؟

قال ألفن : صديقنا ضاع هنا منذ ثلاثة أيام ، وعلينا ايجاده . ثم قال بعد قليلٍ من الصمت موجهاً كلامه للسيد جورج هذه المرة : سيدي بما أنك تجلس كثيراً عند مدخل الغابة فلابد إنك قد رأيت صديقنا ، جاء إلى هنا في وقت ما خلال الثلاثة الأيام الماضية ، وهو في عمري ولديه شعر أشقر وعينان زرقاوان وهو ....

وقبل أن يتابع ألفن وصفه كانت كاترين قد أخرجت صورةً لجاك من حقيبة ظهرها وناولتها للسيد جورج ، فتمعن جورج في الصورة لبعض الوقت ثم قال : أنا آسف ، لن أكون مفيداً لكما في هذا ، فلم يدخل أي

شخص إلى الغابة منذ أسبوعين ، إلا إذا كان صديقكما قد دخل إلى هنا في وقتٍ كنتُ فيه بالمنزل .

فقالت كاترين : إذن أنت تحرس الغابة ؟

_ أنا أمنع الناس من الدخول إلى الغابة فيما بعد الغروب ، ولكن للأسف لا أحد يدفع لي ، حتى إن الحكومة لا تعلم أنني أعمل هنا .

_ ولكن إذا كان هناك فعلاً قاتل في هذه الغابة ، أليس الأحرى بك أن تبلغ الشرطة عنه ؟

قالت كاترين هذا ثم تذكرت أن الشرطة عديمو النفع ، فندمت على طرحها لهذا السؤال الذي ظنّت أنها تعرف إجابته ، لكن لشدّ ما دُهشت حين لاحظت إضطراباً شديداً على وجه السيد جورج ، حتى إنه أخذ يتلعثم في حديثه ولم يستطع الإجابة على سؤالها ، فخفّت زوجته لإنقاذه إذ قالت بسرعة : لقد فعلنا ذلك ،

ولكن أحداً لم يصدقنا .

فتمتمت كاترين قائلة : هذا غريب !.

ثم قالت السيدة ماري وقد بدت مرتبكة ولا تدري لمَ تجبر نفسها على الكلام : ولكن .. لكن لماذا ذهب صديقكما إلى الغابة ؟

أجاب ألفن : هذا ما نحاول اكتشافه في الواقع .

وعندما انتهوا من تناول العشاء ، أصرّت كاترين على مساعدة السيدة ماري في غسل الصحون ، فيما أخذ السيد جورج ألفن إلى غرفة صغيرة تحوي سجاداً مهترئاً ومدفأة لم يتم إشعالها بعد وسرير واحد ثم قال : أنا آسف يا بني ، فليس لدينا غرفة أخرى غير هذه ، نحن لا ندخلها كثيراً لذا فهي مُهملة .. أنا حقاً آسف .

_ لا عليك يا سيدي ، فيكفي أنك استضفتنا

في منزلك بعد أن واجهتنا المشاكل .. لا تقلق سنكون بخير .

وبعد مرور بعض الوقت ، دخلت كاترين إلى الغرفة وهي مشغولة بتجفيف يديها بمنشفة صغيرة ، وقالت بعد أن رأت السرير : اه .. أكره أن يتواجد سرير واحد لشخصين !.

_ لا عليكِ يا أختي الصغيرة ، فلتنامي أنتي على السرير ، لن يصيبني مكروه إن نمت على الأرض .

_ اه .. شكراً لك !.

*****

كانت الساعة الثانية عشر من مساء ذلك اليوم ، نظرت كاترين إلى الأسفل حيث يستلقي شقيقها وقالت له : أمازلت مستيقظاً ؟

أجاب بفتور : لم أستطع النوم .

_ لا تفكر كثيراً ، أتفقنا ؟

_ لا أعلم .. لا أستطيع التوقف عن التفكير ، وأنتي ؟.. لمَ لم تنامي حتى الآن ؟

_ بالطبع نمت ، وأستيقظت كي....

ولم تكمل كاترين ما كانت ستقوله ، فقد سمعت صوتاً من الطابق العلوي ، فقالت بسرعة : أسمعت هذا ؟

_ ماذا؟

_ ألم تسمع ؟!...

ثم صدر من الطابق العلوي صوت زجاج ينكسر ، وكان الصوت واضحاً هذه المرة فقالت : سمعتَ الآن ؟

_ يا إلهي ما هذا ؟!

فقالت كاترين بهلع : هذا المنزل مسكون بالأشباح فعلاً ، كان خطأً منا أن دخلناه !.

_ لا يا كاترين لا تقولي هذا ، ربما هي الرياح أو

.....

وازدادت الأصوات حدةً ، أشياءٌ زجاجية وحديدية تسقط على أرضية الطابق العلوي ، فصرخت كاترين قائلة : لا أظن أن الرياح تفعل كل هذا يا ألفن ! .

_ ماذا تظنين إذن ؟

_ لا أعرف ، ولكن يمكننا أن نعرف .

_ ماذا تعنين؟

_ سنصعد كي نرى .

_ هذا جنون ، لن نفعل هذا ! .

_ بل سنفعل ... ألفن أنا لن أنام قبل أن أعرف ماذا يوجد بالأعلى .

_ حسناً .. حسناً ، هيا بنا .. ولنكن حذرين .

فأخذت كاترين المكنسة ، وأخذ ألفن عصاً كانت قرب الموقد ، وصعدا السلالم بهدوء

وخوف ، فوجدا باباً خشبياً قديماً للغاية ، وبه بعض الثقوب ، فالتفتا إلى ما يوجد بالداخل وهما ممسكين بيدي بعضهما من الخوف ، فكان هناك شخص طويل يرتدي السواد ، غير أنهما لم يتمكنا من رؤيته فقد كان الظلام حالكاً، ثم همست كاترين قائلة : من هذا ؟

_ لا أعلم ، ولكن قد يكون لصاً، الأفضل أن نحذّر السيد جورج .

وعندما استدارا لنزول السلالم تفاجئا بالسيد جورج يقف أمامهما ، فزعا من رؤيته واقفاً أمامهما كالشبح ، حتى لقد كادت أن تخرج من كاترين صرخة رعب ، وقال لهما بحدة : ماذا تفعلان هنا ؟!

فاسرعت كاترين بالقول : سيدي ، هناك شخص بالداخل .

قال ألفن موضّحاً : سمعنا أصواتاً لأشياءٍ تتحطم في العلية ،فصعدنا لنجد شخصاً مخيفاً هنا !.

فقال جورج بهدوء : حسناً ، هيا عودا إلى غرفتكما الآن .

فقالت كاترين : وماذا عن اللص ؟

_ إنه ليس لصاً.. هذا ابني .

_ ابنك ؟!

وقال ألفن : لكن لمَ هو بالأعلى ، أليس هذا المكان مسكوناً يا سيدي ؟

فبدى جورج غاضباً ونافد الصبر حين قال : هذا يكفي كفّا عن الأسئلة رجاءً وعودا إلى غرفتكما ، لا أريد لابني أن يعلم أنكما هنا فهو مصاب بالتوحد ، ويكره الضيوف _ إن لم يكن الناس !.

قال جورج آخر جزء من كلامه بحزن عميق ،

فقال ألفن : أوه.. حسناً ، نحن آسفان .

*****

_ هذا غريب جداً ، ألا تظن ؟

كذلك قالت كاترين عندما صارا وحيدين في الغرفة ، فقال ألفن مستغرباً : ما هو الغريب ؟

_ أعني ، أرايت كيف كان السيد جورج شاحباً عندما رأينا ابنه الغريب ذاك ؟.

_ لقد اخبرنا عن السبب بالفعل يا كاترين .

_ لازلتُ مرتابة من هذا كله ، كيف يعيش ابنه في مكان كذلك ؟ الطابق العلوي مخيف حقاً ، هذا وهم يمتلكون غرفة شاغرة هي هذه !.

رفع ألفن كتفيه وقال بلا مبالاة : من يدري ، لعله ينام في هذه الغرفة دائماً ولكنه تركها لنا الليلة .

فقالت وقد ظهر في صوتها إنفعال شديد :

أتمزح معي ؟!.. إنه لا يعلم حتى بوجودنا !.

_ أياً يكن ، فلننم الآن .

ولكنها تابعت دون الإكتراث لما قاله ولكن بقلق هذه المرة : هناك جوٌ من الغموض يسود هذا المنزل .. وهو ليس مريحاً .

_ لا يهم ، نحن سنغادر في صباح الغد على أية حال .

_ كل شيء غريب .. حتى تلك السيدة غريبة !.

_ ماذا بها السيدة ماري ؟.

_ إنها مريبة ، أخبرتني أن عمرها أربعون عاماً ولا أظنها تكذب ، فهذا يعني أنها لا زالت شابة ، فكيف تفسر وجود ذلك القدر الكبير من التجاعيد على وجهها ؟!.. كما إن تصرفاتها غريبة ، تبدو قلقة . لقد أسقطت ثلاثة صحون عندما كنتُ أساعدها في التنظيف !.. إضافةً إلى أنها تعتذر كثيراً وهذا ما أثار الريبة فيّ .

كلاهما غريب جداً ، والأغرب هو ابنهما ذاك .. أيضاً لمَ يحرس جورج الغابة مع أنه لا يحصل على أجر من الدولة ؟ أهو بهذه الطيبة حقاً أم أنه ...

توقفت قليلاً فقال ألفن : ماذا ؟

_ يشعر بالذنب .

عمّ الصمت لبرهة ، ثم قال ألفن : كاترين توقفي عن هذا الآن ، أنتي تفسرين كل شيء بطريقتكِ الخاصة !.. عزيزتي لا ترعبيني ناشدتكِ الله .. ثم من ماذا يشعر جورج وزوجته بالذنب ؟!

_ شيء خطير .. هما يخفيانه .... حسناً عمت مساءً يا أخي .

قالت هذا ثم استلقت على السرير واغمضت عينيها لتنام ، واستلقى ألفن كذلك ، ولكنه عاد ليجلس بعد وقت قصير وقال : أنا .. أفكر في

العودة إلى المنزل الآن .. نحن لسنا بقدر هذه المهمة يا كاترين ، أعني إن عمركِ خمس عشرة سنة وأنا لا أكبُرك بالكثير !.

فقامت كاترين وقالت وقد أصبح صوتها أكثر حدة : أنت تمزح بالتأكيد !.

_ ليس كذلك ، أنا بالفعل متردد ....

فقاطعته قائلة بغضب : مالذي تقوله يا ألفن ؟.. أين وفائك لصديقك ؟!

_ لا أفهم سبب غضبكِ هذا !.

فأمسكته من ياقة سترته من شدة إنفعالها وحنقها وشدته بعنف وهي تقول : لقد وعدتَ السيد والسيدة براون أنك ستبحث عن جاك ، كيف تقول هذا الآن ؟! .

فقال وهو يبتسم بسذاجة : كاترين اهدأي ، الأمر لا يستحق كل هذا الغضب منك .

_ لقد كنتَ متردداً منذ البداية فلماذا وعدتَ

والدي جاك بأنك ستبحث عنه ؟!.. لا يهم كم عمرك وعمري ، طالما يمكننا القيام بهذا .

فقال جاداً هذه المرة : أنتي تتساهلين جداً بالأمر لأنكِ ما تزالين طفلة متأثرةً بالروايات وأفلام التلفاز ، إن كنتي تقولين إنكِ قادرة على القيام بهذا فلا يعني أنكِ قادرة على فعله حقاً .

فزادت من عنف شدّه بعد أن قال هذا ، فقال : كاترين ، كفي عن هذا أنتي تؤلمينني !.

_ أتتخلى عن صديقك بهذه السهولة ؟!.

ثم أبعد يديها عنه وقال وقد ارتفع صوته قليلا : أنتي لا تقومين بهذا من أجل جاك بل لأنكِ تعتبرين هذا ممتعاً !.

فصمتت لبرهة ثم قالت : تباً لك !.

واستلقت على سريرها .

*****

وفي الصباح كان الأربعة يتناولون الإفطار بصمت ، ونهضت كاترين قبل أن تنهي شيئاً ً من طعامها ، فقال ألفن : لم تأكلي شيئاً بعد !.

ولكنها خرجت من المنزل متجاهلة ً صياحه الذي كان يقول فيه : إلى أين يا كاترين ، توقفي !.

فنهض سريعا ً بعد أن اقتنع أنها لن تجيبه بل لن تلتفت إليه حتى !.. « طبعا ً ، هذه كاترين عندما تغضب ! » ذلك ما كان يقوله لنفسه وهو يرتدي حذائه ليتبعها ، ثم قال للسيد جورج والسيدة ماري : أنا آسف ، عليّ الذهاب الآن .. شكرا ً جزيلا ً لكما .

فقال السيد جورج مستغربا ً من تصرفات كاترين : أهي بخير ؟.

فابتسم ألفن ببلاهة وقال : نعم ، لا تقلق .. لقد

.. تشاجرتُ وهي قليلاً بالأمس ، ليس بالأمر المهم .. حسناً ، وداعاً .

فاوقفته السيدة ماري وأعطته حقيبةً وهي تقول : خذ هذه ، إن بها بعض الطعام والماء .

فشكرها مبتسماً ، ثم خرج من المنزل راكضاً في محاولة اللحاق بكاترين التي كانت تسير بسرعة متجاهلةً ندائاته المستمرة باسمها ، وناداها مجدداً عندما أصبح قريباً منها فتوقفت أخيراً وقالت : ماذا ؟.

فقال وعلى شفتيه شبح إبتسامة خفيفة لم تعلم كاترين لها سبباً : الأمر لا يستحق كل هذا الغضب منكِ يا أختي ، هل كنتي تعتقدين حقاً أنني أستطيع العودة إلى السيدة براون التي لم تنشف دموعها منذ ثلاثة أيام وقول لها « هاي ، كيف الحال ؟ لقد غيرت رأيي في اللحظة الأخيرة ولن أذهب للبحث عن ابنك » ؟!.. حسناً ، هي لن تلومني على أية حال ، بل

ستتفهم أنني كنتُ جباناً لفعل ذلك ، ولكن أتعلمين يا كاترين .. أنا جبان أيضاً لأذهب إلى والدة جاك وإخبارها بهذا لو أردتُ فعلاً !.. أنا متردد أجل ، ولكن جاك هو صديقي الوحيد ، وسأفعل أي شيء من أجله . وأريدكِ أيضاً أن تعلمي أنني لا أقوم بهذا من أجل السيد والسيدة براون ،بل أنا أقوم به من أجل صديقي .. صديقي أنا !.. إذن أنا أقوم بهذا لأجل نفسي أتفهمين ؟!.

قال ألفن هذا وإبتسامته تختفي تدريجياً وإنفعاله يزداد أكثر . قالت كاترين : إن كان الأمر كذلك ، فلماذا تفوهتَ بذلك الكلام ليلة أمس ؟.

_ لا أعلم !.. كل ما هنالك هو أنني أردتُ الحديث معكِ بهذا الشأن ، ومعرفة رأيك .. أردتك أن تساعديني لنفهم هذا بشكل منطقي !.. هذا كل ما بالأمر .

فصمتت طويلاً وهي تفكر مطرقةً برأسها ، ثم تمتمت قائلة كمن تحدث نفسها أكثر مما تحدث شقيقها : هذا هو الأمر إذن ..

وعادت لتصمت مجدداً ، ثم رفعت رأسها أخيراً وقالت : ألفن أنا .. أنا أدين لك بالإعتذار يا أخي ، لم أفهمك جيداً بالأمس .. في الحقيقة لم أفهمك نهائياً بالأمس !.

فقام بضربها على كتفها من قبيل المزاح وهو يقول : لا عليكِ يا صديقتي !.

وفي تلك الأثناء كانت السيدة ماري وزوجها السيد جورج يقفان عند الباب ويتابعان الأخوين ببصرهما ، وفي عيني السيدة دموع حزن وألم .

*****

مع أن الساعة كانت التاسعة صباحاً ، إلا أن الجو في الغابة كان يبدو كما لو أن الساعة

التاسعة مساءً بسبب الأشجار الكثيفة ، وكانت الغيوم تنبأ بهطول الأمطار في وقت ما من هذا اليوم ، كما كان هناك بعض الضباب يغطي الجانب الآخر من الغابة ، فقالت كاترين بتعجب : واو .. لم أدخل غابة من قبل ، لم أكن أعلم أن الغابة مخيفة هكذا .. ولكنها رائعة !.

ثم أخرجت شيئاً من حقيبة ظهرها ، فنظر ألفن إليها دهِشاً وقال : أحضرتي معكِ كاميرا ؟!

_ أستعرتها من إحدى صديقاتي ، لا يمكنني أن أضيّع فرصة كهذه أبداً .. أعني أنا في الغابة. عليّ أن أصوّر كل شيء .

فأجابها بفتور قائلاً : كلا ، ليس عليكِ ذلك .. لايهم .. ثم صرخ بصوت عالٍ قائلاً : جاك ، أين أنت ؟ جاك !

كانا يسيران في الغابة ويناديان باسمه طوال

الوقت .. ومرّت الدقائق والساعات سريعاً ، حتى قال ألفن : هاي كاترين ، كم الساعة الآن ؟ تعطلت ساعتي .

فنظرت كاترين إلى ساعة يدها وقالت : إنها .. وقبل أن تتفوه بالرقم صرخت بهلع قائلة : يا إلهي إنها الثانية عشرة !.. كيف حدث هذا ؟!

_ هل نحن في فصل الشتاء ؟!.

_ أتسألني !.. حقاً ، ألا تعلم لماذا ذهب صديقك الغبي إلى الغابة ، هل أراد أن يلهو ؟.. في الغابة ؟.. ولثلاثة أيام متواصلة ؟!.

فقال ألفن ساخراً : ربما أراد أن يلتقط بعض الصور .

_ هه ، أحمق !.

_ لا أصدق ، هل الحظ السيء يلاحقنا أم ماذا ؟!.

_ ما خطبك ؟

_ ألا تشعرين بقطرات المطر هذه يا أختي؟

_ مؤسف ، لن أتمكن من التقاط أي صورة الآن .

_ بحق السماء !.. أهذا أكثر ما يهمك ؟!.

فرفعت كتفيها مبتسمةً بسذاجة فيما همهم ألفن قائلاً : يا إلهي !.

وفجأة ازداد المطر بشكل مخيف ، فأمسك ألفن بيد كاترين وركضا ليصلا إلى جانب أي شجرة تقيهما من المطر ثم قال : قد نصاب بالبرد .

فقالت : كان غباءً أننا لم نتوقع سقوط المطر .

وفجأة توقفا مشدوهين مما يريانه أمامهما .. كانت شجرة عملاقة .. أكبر من أي شجرة في الغابة ، قال ألفن متعجباً : مذهل !.

وبشكل لا إرادي التقطت كاترين للشجرة صورة وهي تقول : مدهش للغاية !.

ثم جلسا تحتها بينما تقول كاترين : هذه الغابة رائعة !.. أتوق لرؤية المزيد من المفاجئات !

فوافقها ألفن قائلاً : وأنا أيضاً ... ولكن لنأمل ألاّ يعطلنا هذا عن السبب الذي جئنا من أجله .

مرّ وقت طويل وهما لا يزالان تحت الشجرة .. كانا خلاله إما يتحدثان ويتبادلا النكات ، وإما يناديان جاك بصوتٍ عالٍ ، وإما يسيطر عليهما صمت رهيب . أدركا أن المطر لن يتوقف سريعاً وسيعطلهما عن إيجاد جاك ، فقالت كاترين : لا يمكننا البقاء هكذا فترة أطول يا ألفن ، الوقت يمضي سريعاً ونحن جالسين هنا لا نفعل شيئاً !.

_ أعلم ولكن .. سننتظر قليلاً قد يخف المطر .

_ تمزح معي أنسيت ما قاله السيد جورج بشأن الرجل الذي يخرج في منتصف الليل ؟

_ هل صدقتي ذلك حقاً يا كاترين ؟

_ لا عجب في أن يكون هذا صحيحاً ، أعني أترى كم عدد الأفلام التي انتشرت مؤخراً عن المجانين الذين يقتلون الناس في منتصف الليل ؟ ربما يكون هذا شخصاً مجنوناً أو مهووساً ، ويقلد المجرمين في الأفلام .

_ مهلاً مهلاً ، اهدأي يا أختي !.. لا يزال الوقت باكراً على خروجه لو كان فعلاً موجود ، لن أسمح لكي بالتجول في الغابة بهذا الجو ، ستصابين بالزكام .

_ آه تباً ! ... أنا جائعة .

_ الطعام في الحقيبة .

_ وأشعر بالبرد .

فقال بضيق : حقاً !.. أنا لم أحضر معطفاً إضافياً .. كقّي عن التذمر .

_ أشعر برغبة أكبر في التذمر عندما تحدثني بهذه الطريقة !.

فشعر ألفن ببعض الندم لكونه قاسياً مع كاترين بعد أن حاول بقدر إستطاعته أن يعوضها حنان الوالدين منذ تسع سنوات مضت ، وذلك بأن يعاملها بلطف فهذا أكثر ما يمكنه القيام به ، فقال : أنا آسف .. سأذهب للبحث عن بعض الأخشاب التي لم يصل إليها المطر كي أشعل ناراً .

فنظرت كاترين إليه بتعجب وقالت : لا ، لا تذهب .. لا حاجة لهذا .

_ بالطبع هناك حاجة لهذا يا أختي الجو بارد .

_ أعني إننا لن نتمكن من إشعال النار والسماء تمطر .

فأشار بيده إلى بقعة تحت الشجرة الضخمة كانت جافة بعض الشيء ، وقال : هناك .

_ آه .. حسناً كن حذراً ، ولا تجعلني أنتظر طويلاً .

ـ إذن .. تناولي الطعام ، أنتي لم تأكلي شيئاً اليوم .

*****

بعد أن تناولت كاترين الطعام ، بقيت تنتظر عودة ألفن بفارغ الصبر ، وعلى الرغم من مضي عشر دقائق أو أقل على ذهابه ، إلا أنها كانت أكثر من عشر ساعات بالنسبة لكاترين !.. قالت مواسيةً نفسها : حسناً ، اهدأي .. مرت فقط دقائق معدودة على ذهابه .. شخص مثله لا يمكن أبداً القلق بشأنه ، فهو حذر جداً ولن يسمح لإي شيء بأن يؤذيه ، بالإضافة إلى كونه .. جبان .. نعم ، هو جبان !.. وهذا شيء سيء بطبيعة الحال ، ولكنه جيد في هذه المرة ، فكونه جباناً سيجنبه الكثير من المخاطر لأنه سيكون حذراً عندها ، نعم !.

وأستمرت كاترين بمخاطبة نفسها للعض الوقت ، ولكنها شعرت أن ألفن قد تأخر بالفعل فقالت :

علي إيجاده !.. لن أنتظر أكثر !.

وبعد أن عزمت على الذهاب للبحث عنه ، اخذت تسير ببطء منادية ً باسمه ، ولكن مضى وقت أطول مما توقعته كاترين ، ففكرت في أنه قد عاد إلى حيث تركها ، فعادت آملة أن تراه ينتظرها تحت الشجرة العملاقة ، ولكنه لم يكن هناك ، وفجأة سمعت صرخةً قوية قادمة من مكان قريب منها في الغابة .. فركضت بهلع وقد أدركت أن هذا هو ألفن ، وأنه قد وقع حتما ً في مشكلة ، ركضت بإتجاه الصوت ولكنها لم تنجح في العثور عليه ، واستمرت بالبحث لمدة طويلة وهي تكاد لا تشعر بقدميها من شدة خوفها مما قد يكون حدث لأخيها وعائلتها الوحيدة ، وفجأة ً توقفت مبهوتة مما رأته أسفل قدميها .. قطرات دم !.. كانت كثيرة و ترسم طريقا ً إلى مكان ما ، وقفت جامدة وكأنما تسمّرت قدماها على الأرض ..

إنها ترى الأمر الآن في عقلها .. لقد هاجمت الحيوانات المفترسة ألفن ، جرحته وربما قتلته ثم سحبته إلى تحت شجرة على الأرجح لتتمكن من أكله بعيداً عن مياه الأمطار ، وهي _ أي كاترين _ ستتبع قطرات الدم هذه لتجد مجموعة من الذئاب تنهش جسد شقيقها المسكين !.. لكن هذا كان في عقلها فقط . استجمعت شجاعتهاثم سارت ببطء تابعةً قطرات الدم ، ثم ركضت بذعر تجاه الجسم المرمي هناك .. جسم شخص يبدو على وجهه الموت !.. فصرخت قائلة : ألفن !.. ماذا حدث لك ؟!.. استيقظ أرجوك يا ألفن !.

وبدأت الدموع تنهمر من عينيها وهي تقول : هذا بسببي .. أنا بالفعل متذمرة ! وهذه هي النتيجة .. أنا آسفة جداً!.

ثم استجمعت قوتها وقالت : لا .. لن استسلم بهذه السرعة .. لا !

فخلعت وشاحها وربطته بشدة حول الجرح في قدم ألفن والذي كان ينزف في تلك اللحظة ، وبعد كثير من العناء .. توقف النزيف أخيراً ، وأخذت تنتظره حتى ينهض ... كان الوقت الذي انتظرته كاترين أشبه بدهورٍ طويلة بالنسبة لها حتى أعتقدت أنه لن يستيقظ !.. وأخيراً فتح عينيه .. نظر إليها فكانت مغمضة العينين وتدعو اللّٰه بصوتٍ أقرب إلى الهمس ، فابتسم إبتسامة خفيفة وقال بصوت لا يكاد يُسمع : كاترين ..

ففتحت عينيها وصاحت بفرح قائلة : ألفن !.. أنت حي .. لم تمت يا أخي ، أنت حي !.

_ بالطبع أنا ... ولم ينهي ما أراد قوله فقد عانقته كاترين بقوة ودموعها تنهمر كالشلالات وهي تقول بصوت عالٍ : أيها المغفل ما كان عليك الأستماع إلى حمقاء مثلي ، أنا آسفة جداً هذا بسببي ، إن هذا فعلاً بسب ...

فقاطعها قائلاً وقد ابعدها وأمسك بكتفيها : لا يا كاترين هذا ليس بسببك .. لستِ المُلامة ، لا أحد يمكن أن يكون المُلام على ما حدث .

فصمتت قليلاً ثم قالت : وما الذي حدث ؟

فأجاب بعد أن أمسك برأسه ليتذكر : لا أستطيع التذكر بوضوح .. أظن .. أظن أن حيواناً قد هاجمني ، لكنني فررت منه .

فنظرت كاترين إلى الجرح المربوط الذي كان ينزف قبل قليل ، وقبل أن تقول شيئاً قال ألفن بسرعة : هذا مجرد خدش بسيط .. لا يستحق القلق .

_ بمخلب أسد ؟!.

_ لا لا ، ليس أسداً ، إنه .. اااء .. لا أعرف بالضبط ما هو ، ولكن .. لقد ضمضتِه بشكل رائع أحسنتِ يا أختي الصغيرة ، لم يعد يؤلمني بعد الآن .

ثم نظرت كاترين إلى ساعة يدها وقالت : إنها الثالثة .. ونحن لم نعرف شيئاً عمّا حدث لجاك ، حالنا بائسة !.

_ السماء لن تتوقف عن المطر ، إنه يزداد بدل أن ينقص ، يال حظنا العاثر !

_ حسناً انهض سأساعدك على السير .

قالت هذا وهي تنهض وتمد إليه يدها لمساعدته ، ثم استطردت قائلة : بالمناسبة ، هل وجدت أخشاباً جافة ؟

فنظر إلى كومة قليلة من الأغصان المبعثرة على مقربة منه وقال : لقد تبللت ، لن نستطيع استخدامها .

_ حسناً لا يهم .. هيا .

*****

مر وقت طويل ولم يتوقف المطر بعد ، كان كلٌ من ألفن وكاترين يسند ظهره على الشجرة

الضخمة ، وكان الإرهاق واضحاً عليهما ، أراد ألفن الخروج من ذلك الصمت المخيم على الأجواء فقال محاولاً إيجاد تفسير لكل ما يحدث هنا : هذا كله غير منطقي بالمرة !.. أعني ، كيف يمكن لجاك أن يتسكع في الغابة تاركاً خلفه والدين ينتظرانه بقلق حتى وهو في المدرسة ! .. غريب .. حسناً ، أنا لا أقول إن جاك فتىً جيد فهو شخص سيء ، ولكنه يحب والديه أكثر من أي شيء آخر ، لذا فإنه لم يأتي إلى الغابة عن قصد ، ربما حدث شيء ما .. جعله يدخل الغابة ، مهلاً .. ماذا لو أن أحدهم قد أختطفه ؟.. هذا إحتمال سخيف ولكنه جائز ، وإلا لماذا لم يعد حتى الآن لقد مضت بالفعل أربعة أيام !.. أو ربما هو ليس في الغابة ، ربما أسقط هاتفه فقط في الغابة .. وربما يكون الآن قد عاد إلى والديه .. ونحن هنا تحت المطر .

ثم نظر إلى كاترين وهو يقول : ما رأيكِ يا كاتري-.... فكانت مفاجأة له أن وجدها نائمة وأدرك أن كل الكلام الذي كان يقوله قد ذهب هباءً منثوراً !

ثم أخذ الهاتف وحاول الإتصال بالسيد براون وبجاك أيضاً ، ولكن محاولاته باءت بالفشل ، فلا إشارة في الغابة. فنهض وتجول في الأرجاء لبعض الوقت مناديا ً باسم جاك ، وهو يستعرض في رأسه صديقه الذي أحبّه منذ طفولته ، تذكر ذلك الوجه الوسيم المفعم بالحيوية ، وذلك الشعر الأشقر الجميل ، تذكر ذلك الشاب أو الفتى الوقح الذي لا يحب إحترام أحد ، وتذكر تلك الأيام التي كان فيها جاك يجبره على مرافقته للقيام ببعض الأمور السخيفة والتي يمكن القول إنها مخلة بالقوانين العامة ، كالمرة التي أرغمه على التجسس معه على ذلك العجوز الذي يصطنع

هيئة الوقار والجد في العادة ولكنه يلعب بالدمى الصغيرة في حديقة منزله كالأطفال !.

كان يسير مبتسماً من تذكره لتلك الأشياء الغبية التي قام بها مع جاك فيما سبق ، لأجل التسلية أو من قبيل المزاح ، ولكنه بحث طويلاً وهو يستعرض ذكرياته مع صديقه .. « أين أنت الآن يا ترى ؟ » كذلك كان يسأل نفسه وهو يتنهد بأسىً ويعود إلى الشجرة الضخمة حيث ما تزال كاترين نائمة تحتها . لكنه لم يكد يجلس حتى سمع خشخشة من خلف مجموعة من الشجيرات قريباً منه ، تجاهلها في بادئ الأمر ظناً منه أنها بسبب الرياح أو الأمطار ، ولكن سرعان ما أزداد الصوت وأصبح مصدر خوف لألفن ، فنهض بصعوبة ليرى وهو يقول : من هناك ؟

ثم فكر في نفسه قائلاً : مهلاً !.. ماذا لو كان ذلك الحيوان الذي هاجمني قبل قليل ؟.. كيف

سأهرب منه بقدمي الجريحة ؟..

ثم قرر استجماع شجاعته ونظر بحذر إلى ما يوجد خلف الشجيرات ، فكانت المفاجأة هناك .. تنتظره !.. فقد كان جسداً ملقياً هناك ، ولكنه لم يكن كاملاً ، كانت ساقه اليمنى غير موجودة ، وكان يتمتم بصوتٍ لا يكاد يُسمع قائلاً : ساعدني .. أرجوك !.

لم يكن ألفن قد أستوعب بعد ما يراه ، كان متجمداً في مكانه ولم يستطع رؤية وجه ذلك الشخص مع أنه كان أمامه مباشرة .. كان يحدق في نصف الساق التي يتدفق منها الدم كصنبور الماء ، ثم أدار بصره إلى وجهه ببطء وكأنما لا يريد النظر إليه لأنه يخشى شيئاً ما ، ولكنه نظر إليه في النهاية وصرخ فوراً بتألم قائلاً : لا !!.

لقد كان هو .. كان صديقه الذي أختفى فجأة عن الوجود ، لقد كان ذلك هو جاك بلحمه

وشحمه !.. صاح ألفن قائلاً : لا ، جاك .. جاك !.. كاترين انهضي إنه جاك !.

فنظر جاك إلى ألفن وقال بصوت منخفض متعب : ألف .. ألفن .. لقد جئت من .. أجلي !.

ثم أُغمي عليه وعلى شفتيه إبتسامة رضا ، فقال ألفن : بالطبع جئت من أجلك يا صديقي ، هيا انهض .. انهض أرجوك !.

ثم جائت كاترين لتفاجأ برؤية جاك بتلك الحالة وألفن يقول وفي عينيه بعض الدموع : جاك ، انهض أرجوك !.

فصرخت بهلع قائلة : فلنحمله إلى تحت الشجرة هيا !.. علينا إيقاف النزيف .

_ أجل ، أجل ، سوف تكون بخير يا صديقي .

وبعد أن أخذاه إلى تحت الشجرة ، جعلت كاترين تتمعن في النصف الباقي من قدم جاك وهي مرعوبة وشاحبة شحوب الموتى ، ثم

قالت بصوتٍ منخفض في محاولة منها تشجيع نفسها وطرد خوفها : إن اصبحت طبيبة ، سأرى ما هو أفظع من هذا ، عليّ أن أتشجع .

فقال ألفن وقد نفد صبره : حسناً هل يمكنكِ فعل شيء ؟

_ أجل .. سأحاول .. ونظرت إلى وشاح ألفن وقالت : لكني سأحتاج إلى هذا .

ثم تنهدت وربطت الوشاح بشدة على ساق جاك ، حتى بدأ الدم يتوقف شيئاً فشيئاً ، وبعد أن أستيقظ جاك سألته : بمَ تشعر الآن ؟

فقال بصوت ضعيف لا يستطيع رفعه مهما حاول ذلك ، وهو يبتسم ويتصبب عرقاً : لا أشعر بشيء .. شكراً يا .. كاترين .

_ لست محتاجاً لشكري .. حسناً ، هيا لنعد إلى البيت والدتك تكاد تموت من القلق !.

فقال بصوت متقطع : أشكركما جداً على القدوم .. لأجلي .. ولكني .. لا أستطيع العودة معكما .. لا أريد .. أن أكون عبئاً عليكما .

فقال ألفن : ما هذا الكلام السخيف ؟!.. لقد جئنا إلى هنا من أجلك ، ولن نعود بدونك .

_ لا .. لا أستطيع ...

فقاطعه ألفن قائلاً بغضب : كفى يا جاك !.. إن كنت لا تفكر بنفسك ففكر بوالديك ، وفكر بي وبأختي وكم تعبنا للوصول إليك ، كيف لك أن تقول هذا الآن ؟!

فصمت جاك لبرهة ثم ابتسم وقال : أيها الأحمقان ، ما كان عليكما المجيء إلى هذه الغابة ، سوف تموتان ، وأنا سأموت أيضاً ، لن ينجو أحد منا !.

فسألته كاترين : لماذا ، ما الخطير بهذه الغابة ؟ ولمَ جئت أنت إلى هنا بالأساس؟

_ أنا آسف .. ولكن ذلك لم يكن خطأي .. أحد أصدقائي دعاني مع مجموعة من الفتيان .. إلى مطعم قريب من هنا .. ذهبتُ دون أن أخبر والديّ لأنهما لن يسمحا لي بالذهاب .. إنهما يعاملانني كطفل رضيع !.

فقاطعه ألفن مرة أخرى قائلاً : انتظر .. ذهبتَ مع رفاقك دون أن تدعوني ؟!.. ألسنا أصدقاء ؟!.

فوكزته كاترين بمرفقها فقال : لا تهتم .. هيا تابع .

_ أنا آسف لأنني لم أخبرك يا ألفن .. حدث كل شيء بسرعة .. ذهبتُ معهم ، وعندما كنا عائدين ، مررنا من أمام هذه الغابة .. وكنت أتباهى بهاتفي الجديد .. فقام أحد الأولاد المتنمرين ، وأنت تعرفه يا ألفن ..

فسأله ألفن شبه متيقن : ماكس ؟.

_ نعم ، هو ذا .. قام برمي هاتفي إلى داخل الغابة ، وبدأ بالسخرية مني هو والآخرين ، لم أكن أستطيع العودة إلى المنزل دون الهاتف ، كان أبي سيوبخني بكل تأكيد !.. هذا ما حدث وقد كان حادثاً .

وبعد أن استمعا لقصته ، بقيا صامتين لفترة وجيزة ، ثم قالت كاترين وهي تشير إلى قدمه : ومن الذي .. فعل بك هذا ؟.

فأخفى جاك وجهه بين يديه وقال مرعوباً : لا .. لا أريد تذكر هذا .. إنه مخيف !.. لا أريد تذكره !.

_ ما الأمر ؟

_ شخص لديه منشار .. لقد قطع ساقي !.. قطع ساقي !.

فقال ألفن : مهلاً ، ماذا تعني بأن شخصاً من هاجمك وليس شيئاً ؟

_ ألا تصدقني يا ألفن ؟.. أقسم لك أنه كان رجلاً ، لم يكن حيواناً أو شيئاً ما ، كان رجلاً !.

كان جاك منهاراً ومذعوراً للغاية ، فقال ألفن محاولاً تهدئته : اسمع ، أنا أصدقك يا صديقي ، لا داعي لتقسم لي ، أنا أصدقك .. ولكن يجدر بك أن تخبرني أكثر عن هذا الرجل .

فقالت كاترين وقد سئمت من طريقة ألفن الفاشلة في تهدئة جاك : هذا يكفي يا ألفن ، إنه الرجل الذي أخبرنا عنه السيد جورج بكل تأكيد ، توقف عن سؤاله عن التفاصيل ، إنك ترهقه !.

نظر جاك إلى كاترين ممتناً وقال ألفن : حسنٌ ، لن أسأله شيئاً .. لن أسأله .. والآن استمع اليّ يا جاك ، أنا وكاترين سنحملك إلى خارج هذه الغابة ، ثم سنطلب الإسعاف ، فلا إشارة هنا .. حاول التحمل قليلاً ، أتفقنا ؟.

فرأى أن جاك موافق فقال كاترين : هيا يا أختي ، جاهزة ؟

_ نعم ، هيا .

فأمسك ألفن بجاك من جانبه الأيمن ، وكاترين من الأيسر ، وحملاه بعد العدِّ إلى الثلاثة ، حاولا المشي سريعاً ولكنهما فشلا في ذلك بسبب المطر ، وبعد أن سارا بصعوبة مسافةً لا يُستهان بها ، قالت كاترين : نحن ننجح فلنستمر بهذا !.

ولكن الحظ لم يحالفهما هذه المرة أيضاً ، ففجأةً إنزلقت قدم ألفن وعلقت في الطين ، وسقط كلٌ من كاترين وجاك إثر هذا ، فقال ألفن بسخط : اللعنة !.. ماهذا الذي يحدث لنا ؟!

وصرخت كاترين قائلة : جاك هل أنت بخير ؟ .. ولكنه لم يجبها ، فنظرت إلى قدمه حيث

عاد نزيفها مجدداً ، فقالت بذعر : يا إلهي !.. إنها تنزف ثانيةً ، ما الذي سنفعله الآن يا ألفن ؟.. ونظرت إلى ألفن لتراه مشغولاً بإخراج قدمه من الطين ، فقالت بحدو :ألم تسمع ما قلته ؟!.

_ بل لقد سمعت .. وأخيراً أنتزع قدمه العالقة ، وهرع إلى جاك الذي كان في حالة يُرثى لها وهو يقول بقلق : جاك ، أتسمعني ؟.

فقال جاك مناديا ً بصوت لايكاد يُسمع : ألفن ..

فأمسك ألفن بيده وهو يقول : أنا هنا !.

_ ألفن .. أنا آسف .. لقد أتعبتك كثيراً .. وكاترين أيضاً .. لكني .. لا أستطيع .. الإستمرار معكما حتى ال.. حتى البيت .. أنا آسف جداً .

_ جاك ، لا تقل هذا يا صديقي أرجوك ، سوف تكون بخير ، صدقني !.

_ لا .. كنت أظن أنني قوي .. مثل أولئك الذين .. يعودون من الحروب وإحدى أرجلهم غير موجودة .. ولكنهم يعيشون حياتهم بقدم واحدة .. أما أنا .. أنا لا أستطيع أن أعيش بقدم واحدة .. هذا مستحيل !.

_ لا تستيلم لضعفك يا أخي ، كن قوياً .. أرجوك .. كن قوياً كما عهدتك دائماً ، هيا سنحملك مجدداً أنا وكاترين ، حسناً ؟

_ لا ، لا تفعل .. إنني أنزف ، سينتهي دمي قبل أن نصل إلى أقرب مكان لطلب المساعدة .. دعني أمت بسلام أرجوك .

فأخذ ألفن برأس جاك ووضعه فوقه وأمسك يده بكلتا يديه وقال بصوتٍ خنقته العبرات : قاوم يا جاك !.

_ ألفن .. قبل أن أموت .. أريدك أن تعدني بشيء ما .. عدني بأنك ستعتذر بالنيابة عني ..

إلى كل الأشخاص الذين اسأتُ إليهم .. أنا .. لم أكن مهذباً جداً مع الناس .. لم أكن أحترم الأكبر مني سناً .. كنت فتىً سيئاً بحق !..
عندما دخلتُ هذه الغابة .. وضِعت فيها ، فكرت بكل الأشخاص الذين اسأتُ إليهم .. وأدركت أنني قد اخطأت بحقهم .. لذا .. كتبت قائمة بأسمائهم – وأخرج بصعوبة ورقة من جيبه – وتابع قائلاً : أنا لم أكتبهم كلهم بالطبع فقد نسيت البعض .. في الواقع .. أنا لم أستطع أن أترك أثراً جيداً في نفوس الذين التقيتُ بهم في حياتي .. وأكبر ظني أنهم سيقولون عندما يتذكرونني بعد موتي « إنه ذلك الفتى المزعج والوقح ، رحمنا الله بأن أخذ روحه » ...

فقال ألفن : لا .. لا !.. ستصلح كل شيء بنفسك ، هيا !.

_ انتظر يا ألفن .. أيضاً اعتذر من والديّ ..

لأنني خرجت دون إذنهما .. ولأنني أقلقتهما .. خاصةً أمي .. إنها تقلق كثيراً .. هههه ، أكاد أشعر .. بقلقها !.

صمت جاك .. وصمت معه كل ما في الغابة ، حتى الرياح توقفت عن الخرير !.. كان صمتاً رهيباً ، قال ألفن : جاك .. ما بك ، لمَ أغمضت عينيك ؟ جاك أتسمعني ؟ .. جاك !

وبدأ بهزه بعصبية وهو يصيح باسمه عالياً .. بينما كانت كاترين تحاول جاهدةً حبس دموعها .. ليس بسبب موت جاك وحسب ولكن بسبب حال ألفن أيضاً .. وفي لحظةٍ تشجعت وأمسكت بألفن من كتفيه وأزاحته عن جاك بعناء كبير وهي تقول : كفى يا ألفن ... لقد مات !.

خسر ألفن الصديق الذي كان قد أعتبره أخاً دوماً .. لم يكن قد صدق ذلك بعد ، أبعد كاترين عنه ومد يده ليتأكد من حقيقة الأمر ،

ولكنه توقف قبل حتى أن يمسك بجاك ، فقد نظر إلى وجهه .. إنه ليس وجه شخص تغمره الحياة !.. كان وجهاً شاحباً تعلو شفتيه إبتسامة هادئة ، وقد نزلت دمعة من إحدى عينيه ، الأمر الذي جعل ألفن يستغرق في البكاء بحرارة ، أدرك الآن أن جاك قد مات فعلا . وبعد أن هدأ قليلاً بمساعدة كاترين نظر إلى الورقة في يد جاك وقال : أعدك يا صديقي .. سأجعلهم يعلمون كم إنك شخص طيب في الواقع .

ثم نهض واقفاً وهو ينظر إلى جاك بحزنٍ كبير ، وفي تلك اللحظة كان المطر قد توقف وبرز ضوء خفيف للشمس من خلف الأشجار حتى أستقرّ في وجه جاك المبتسم ، وقال ألفن بعد أن مسح عينه من الدموع : هيا يا كاترين ، لنعد للبيت .

فنظرت كاترين إلى جاك وقالت : فلترقد

روحك بسلام يا جاك .

ذهب ألفن وكاترين تاركين جثة جاك خلفهما ، لتبدأ مغامرة جديدة في طريقهما للعودة إلى البيت .

*****

سارا بصمت لمدة طويلة ، لا يفكران في شيء سوى شيء واحد فقط « هل يمكنهما النجاة من هذا أم أن مصيرهما سيكون كمصير جاك ؟ » كان الصمت خانقاً بالنسبة لكاترين التي ضاقت ذرعاً في لحظة ما وقالت : ألفن ، أتعرف أين نذهب ، نحن نسير منذ ساعات !

ولكن ألفن لم يجبها بل تابع صمته هذا ، فقالت بصوتٍ أعلى : أسمعتني يا ألفن ؟

فخرج أخيراً من شروده وقال : هاه .. آسف ، هل قلتي شيئاً ؟

فشعرت كاترين بالشفقة من حاله ، وقالت

بصوتٍ حاولت جعله رقيقاً قدر الإمكان : ما بك ؟.. نحن نسير منذ وقت طويل بهذا الصمت المرعب ، إنني .. إنني أعلم أنك حزين بشأن ما حدث لجاك ، ولا أقول إنني لست حزينة كذلك ولكن .. علينا التمسك بالأمل يا أخي .. كي ننجو !.

فصمت لبرهة ثم اومأ برأسه إيجاباً وتابع السير ، فقالت : إذن هل تتذكر الطريق الصحيح ؟ بالنسبة لي .. لقد نسيت .

_ نعم ، أتذكر .

_ جيد !.. ثم تنهدت بعمق وقالت : آه .. كم أحب الرائحة بعد المطر ، أشعر أنها نقية جداً .. كما.. كما لو أن الأرض أخذت حماماً ، وأصبحت نظيفة !.

فابتسم ألفن وقال : صحيح .

ثم أخذت كاترين ورقةً خضراء من إحدى

الأشجار كانت فيها بعض قطرات المطر واعطتها لألفن وهي تقول : خذ هذه إن شكلها جميل يجعلك ترغب بالإحتفاظ بها ، ألستُ محقة ؟

_ بلى ، إنها رائعة .

كان صوت ألفن ضعيفاً وحزيناً للغاية ، كان يحاول جاهداً أن ينسى ما حدث قبل قليل لصديقه ، وكانت كاترين تقوم بهذا لأجل أن تعود إليه روحه مجدداً ، ولكنه لم يعد كما كان ، بل إنه كان بالكاد ينطق بكلمة واحدة !.

كانت الساعة قد بلغت السادسة وهما ما زالا يسيران دون أن يعرفا ما إذا كانا على الطريق الصحيح أم لا ، قالت كاترين : ألم تقل إنك تتذكر الطريق ؟ نحن نمشي منذ وقت طويل والظلام بدأ يخيم !.

_ أهه . أجل .

_ ماذا ؟.. هل سمعتَ حتى ما قلته ! ما مشكلتك ؟!.

_ أخبرتكِ أنني أعرف الطريق كفّي عن الصراخ طوال الوقت ، أيمكننا أن نمشي بصمت ؟

_ نحن بالفعل نمشي منذ ساعتين بصمت ، هذا يكفي !

_ إذن فلنتابع هكذا ، هذا مريح أكثر .

_ لا !.. هذا يكفي ، أتعلم ، أنت متسلط جداً من تظن نفسك ؟!.

_ أأنتي غاضبة لأنني لا أقول شيئاً ؟!

_ لا .. « صمتت قليلاً ثم تابعت بحزن : بل لأنك .. لأنك تبالغ في ما تفعله ، جميعنا سنموت يوماً ما يا ألفن هذا ليس بالأمر الغريب .. أنت حزين في وقت لا يفترض بك أن تكون حزيناً فيه .. فكر بأنني أحتاج إليك كما كنت سابقاً .. أرجوك !.

فصمت ألفن لبعض الوقت مفكراً ثم قال : أنتي محقة .. أنا آسف .

فابتسمت وقالت : إلى أين نتجه الآن ؟.

لكنه لم يجبها على الفور ، كان مطرقاً برأسه إلى الأسفل ويبدو كمن يحاول التهرب من شيء ما ، إلا أنه استجمع شجاعته بعد قليل من التفكير وقال : هاي لأصدُقك القول يا كاترين أنا .. لا أعرف طريق العودة إلى البيت .

عندها تغيرت ملامح وجه كاترين وقالت : أنت تمزح ، صحيح ؟

_ لا مع الأسف ، أنا لا أمزح .

_ يا إلهي ماذا سنفعل الآن ؟

_ لا أعلم ، كنت أفكر في هذا طوال الطريق .

_ مهلاً ، أتعني أنك لم تكن تعرف منذ البداية ؟ ولماذا قلت إذاً أنك تعرف ؟!.. بالطبع هذا الطريق الخاطئ !.

_ ظننت أنني لو مشيت قليلاً سأتذكر ، لكن هذا لم ينفع .

_ آه ، يال حماقتنا !.. كان علينا أن نترك آثاراً لنقتفيها _ فقامت بضرب رأسها وهي تقول : يا لغبائي كيف نسيت هذا ؟!

_ أنا آسف .. هذا بسببي .

_ لا ليس خطأك أنك نسيت الطريق .

_ حسناً .. لقد جربتي أن تتبعيني ، والآن سأجرب أنا أن اتبعك .

فلمعت عيناها وقالت بسعادة : حقاً ، هل سأكون القائدة ؟!.

_ آه .. أجل ، ستكونين .

فهتفت قائلة : رائع !.. كنت أعلم إنك ستعترف بهذا في يوم ما !.

فقال ألفن في نفسه : « هذه الفتاة لن تكبر أبدا

.. إنها طفلة حمقاء !.. لكنها تثبت لي أحياناً أنها أعقل مني بكثير .. سأرى إلى أين سنصل بقيادتها ، هكذا سأعرف ما إذا كنت أستطيع الأعتماد عليها أم لا ».. ثم قال لها : حسناً ، إلى أين الآن ؟

فقالت بلهجة القائد عندما يحدث جنوده :
ابقى هنا أيها الجندي وأنا سأستكشف المكان .

_ مهلاً ماذا ؟.. هذا خطر عليكِ ، لن تذهبي بمفردك .

_ استمع إلى أوامري فأنا القائدة .

_ حسناً ، أتعلمين .. أجل أنتي القائد والقادة لا يستكشفون المكان بل يرسلون أحد الجنود .

_ ولكنك الجندي الوحيد ، لو حدث لك شيء فسأصبح قائداً بلا جندي .

_ وإن حصل لكي شيء ، سأصبح جندياً بلا قائد ، هيا يا كاترين !.

فصمتت قليلاً ثم قالت : حسناً ، اتخذتُ القرار .. كلانا سوف يذهب ، ولكن أنا من سيوجهك .

_ آه .. حسناً لا يهم ، هيا بنا .

*****

مشيا ومشيا ، سلكا عدة طرق لكنها كانت خاطئة لا توصلهما إلا إلى نهاية مسدودة ، والوقت يجري أسرع منهما ، حتى شعرت كاترين أنها قائدة فاشلة ، وشعر ألفن أنه أخٌ أكبر فاشل .. حاولا بشتّى الطرق أن يجدا أثراً ليعرفا منه الطريق الصحيح ، لكن المطر كان قد أزال أي أثر ، وصارت الساعة الثامنة ثم التاسعة والعاشرة ولا فائدة من سيرهما المتواصل هذا ، شعرا أنهما في متاهة وليس في غابة !.. اصبحا محبطين ومنهكين تماماً ، فجلسا عند شجرة ما وقال ألفن : يا إلهي .. ما الذي يحدث هنا ؟!. رد

_ لا .. أعرف !.

_ أنا جائع جداً ، ماذا عنكِ ؟

_ لماذا ، هل يمكنك أن تخلق لي طعاماً لو كنتُ جائعة ؟

_ آه .. حتى الطعام نفد منا !.

فقالت كاترين وفي صوتها رعب حقيقي : ألفن .. مايقلقني ليس الطعام ، بل الرجل الذي لم يبقى سوى القليل من الوقت ليخرج من مخبأه أياً كان .. سوف يقتلنا !.

_ لا لن يفعل .

_ بل سيقتلنا .. قال جاك إن معه منشاراً .. لن نفلت منه !.

فقال بعناد : سنفلت .

_ حقاً ؟.. وكيف ذلك ؟.. سيقتلنا قبل أن ...

فقاطعها قائلاً بحدة ونيران الغضب تتأجج

في عينيه : لا لن يقتلنا ، لن أسمح له بقتلنا كما قتل جاك .. لن أسمح له بلمس شعرة منكِ يا كاترين !.

فصمتت قليلاً ثم قالت : يستحسن بنا إيجاد مخرج قبل أن يعلم بوجودنا .. لأنه لو علم أننا هنا ؛ فاحتمال نجاتنا منه ضئيل جداً .

_ إذن .. لدينا أكثر من ساعتين قبل أن يعرف أننا هنا .

_ نحن بالفعل أمضينا أكثر من خمس ساعات نحاول إيجاد مخرج من هذه الغابة اللعينة !.. فهل سننجح في ساعتين ؟

فقال : على الأقل كانت مفيدة ... ثم أخذ بعض الصخور الصغيرة ووضع واحدة وسط أربع وأشار بإصبعه إلى الصخرة في المنتصف وهو يقول : هنا حيث الشجرة العملاقة ، وهي تقع في وسط الغابة على حدّ علمي فيعني أننا

سنعتبرها مركز إنطلاقنا .

_ حسناً ؟.

_ بحثنا في الجهتين اليمنى واليسرى منها ، وأستطيع رؤيتها الآن أمامي ، مما يعني أننا بحثنا في الجهة الخلفية أيضاً بالنسبة للشجرة .

فقالت : هذا يعني أنه لم يبقى لنا سوى الجهة الأمامية .. ولا شك أنها الصحيحة .. لأنها الأخيرة .

_ بالضبط .

_ إذن هيا نتحرك !.

فنهضا متجهَين إلى حيث خططا ، آملان أن يكونا على صواب لمرة واحدة على الأقل داخل هذه الغابة .. ولكن المشاكل ما زالت تلاحقهما أينما ذهبا ، فبعد سير قصير توقفا محتارين أمام طريقين ليسلكاه ، وواحد فقط

هو الذي يؤدي إلى خارج الغابة بطبيعة الحال !.

شعرا بالإحباط كلاهما وقالت كاترين ساخطة : اللعنة ، أهذا ما ينقصنا ؟!.

_ ماذا الآن ؟.

_ أنعتمد على القرعة في هذا ؟

فقال دهِشا ً : تمزحين !.. إنها مسألة حياة أو موت !.

_ حسنا ً ، هدئ نفسك لقد كنت أمزح .. إذن .. ألديك أفكار أفضل ؟

فصمت قليلا ً ثم قال : نفترق .

_ ماذا ؟

_ ليس لدينا متسع من الوقت لنرى ما في هذا الطريق ثم ذاك ، علينا رؤية الطريقين في وقت واحد ومعرفة أيهما هو الطريق الصحيح

.

فصمتت كاترين لبعض الوقت ثم قالت فجأة وقد لمعت عيناها من فرط حماستها : لدي فكرة أفضل ، إذا كانت الجهة الأمامية من الشجرة هي الصحيحة فعلاً ، فأنا لدي صور لأحد هذين الطريقين ، بأمكاننا أن نعرف الطريق الصحيح من خلالها .

ففكر ألفن قليلاً قبل أن يصفق يديه إحداهما بالأخرى ويهتف قائلاً : فكرة عبقرية !.

ثم قال ضاحكاً بينما تخرج هي الصور من حقيبة ظهرها : لم أتوقع أننا سنستفيد من الصور التي التقطتها !.

_ ولا أنا .. هئ هئ !.

ثم تمعنا في الصور الملتقطة ، وأشار ألفن إلى أحد الطريقين قائلاً : أظنه هذا .

_ واثق ؟

_ لا ، ما رأيكِ أنتي ؟

_ لا أستطيع التأكد مع هذا الظلام ، إن كشاف الضوء هذا لا فائدة منه !.

قالت جملتها الأخيرة وهي تضرب الكشاف الذي تحمله بإحدى يديها باليد الأخرى ، فقال ألفن وهو يسير في الطريق الذي سبق وأشار إليه : حسناً ، هيا .

فلم يكن لدى كاترين خيار سوى أن تتبع أخاها مع أنها غير متأكدة من أنه الطريق الصحيح ، كانا يسيران وعيونهما تتحرك في جميع الإتجاهات بحثاً عن أي شيء يطابق ما في الصور ، كانا يريدان أن يجدا ولو أثراً بسيطاً ليحصلا على أمل صغير ، ولكنهما لم يقتنعا بعد بما يريانه ، قال ألفن : لا أتوقع أن الطريق الآخر سيكون أفضل من هذا .

_ لماذا ؟.. إن الصور لا تتطابق مع ما نراه

إطلاقاً .

_ أعلم ، ولكن في الوقت الذي التقطتي فيه الصور كان المطر لم ينزل بعد وكان الوقت باكراً ، مما يجعله مختلفاً عمَ نراه الآن .

فقالت كاترين بحدّة : كان يمكنك القول من البداية أنها فكرة سيئة !.

_ لا يهم ، لنتابع وحسب .. ثم نرى الطريق الآخر .

_ قلتَ للتو إنه ليس لدينا متسع من الوقت !.. أسمع أنت ابحث هنا ، وأنا سأذهب إلى الطريق الآخر ، ثم نلتقي عند تقاطعهما .

_ ماذا ... حسناً ، كوني حذرة .

فاومأت برأسها وذهبت مسرعة ، وتابع ألفن السير في طريقه آملاً أن يعثر على مخرج من هذه الغابة . إن في شخصية ألفن شيء من الضعف كما لاحظتم _ بالطبع لاحظتم ، فكيف

يمكن ألاّ تلاحظوا ؟_ ومرجع ذلك يعود إلى سرعة تأثره وإنقياده لأوامر الآخرين من الأشخاص الذين يملكون شخصيات أقوى من شخصيته ، مثل كاترين وجاك فيما سبق ، وهو إلى ذلك شخص مسالم وجبان _ نعم جبان ، وهو يعرف ذلك في دخيلة نفسه لكن كبريائه لا يسمح له بالإعتراف بذلك _ ، فلقد عاش حياته بهدوء محاولاً قدر الإمكان تجنب الوقوع في المشاكل ، والسبب الذي يدعوني لكتابة كل هذا عن شخصية ألفن الآن _ مع أنه كان من السهل عليكم إدراك ذلك _ هو ردة فعله .. فبعد أن سار لبعض الوقت ، توقف مبهوتاً وكاد يسقط مغشياً عليه ممَ رآه أمامه ...

أما كاترين ، فتابعت الخطة التي وضعتها ، ورأت أن هذه الصور لابد أن تفيدها ، فظلت

تقارن الصور مع ما تراه من لون أو شكل الأشجار ، ثم لمحت شيئاً ما ، شيئاً كانت قد رأته في الصورة ، وتذكرت أنها مرّت به فعلاً في الصباح من هذا اليوم .. لمحت بعض الأزهار .. أزهار ذات لون أزرق مائلاً إلى خضرة ، كان لونها غريباً وجميلاً ، ولم ترى مثلها داخل الغابة مطلقاً بعد أن التقطت لها الصورة في الصباح .. فرحت كثيراً بل قل كادت تطير من شدة الفرح ، فقد أيقنت أن هذا هو الطريق الصحيح الذي سيخرجهما أخيراً من غابة الموت !.. ركضت عائدة لإخبار ألفن بما توصلت إليه ، ووصلت إلى المكان الذي أفترقا فيه ومشت سريعاً منادية باسمه ، لكن أحداً لم يجبها ، فنظرت إلى ساعة يدها فقط لإزالة الشك ، فارتاحت بعد أن رأت الساعة لم تتجاوز الحادية عشرة ، على الأقل بقي ساعة ، سيمكنهما خلالها أن يخرجا من الغابة بعد أن

عرفا الطريق الصحيح ، هذا طبعاً إن كان « الرجل » دقيقاً في موعد خروجه ، سرت في جسدها رعدة عندما فكرت برجل مجرم يخرج لإصطياد فرائسه عندما ينتصف الليل ، وفرائسه هؤلاء هم بشر مثله .. هذا وحشي !!.

لكنها أبعدت هذه الأفكار عن رأسها فلديها ما تهتم به . أخذت تنادي شقيقها أملاً في أن يسمعها ويلبّي ندائها ، ولكن بلا فائدة فقالت بقلق : يا للهول !.. طلب مني أن أكون حذرة ولم يكن هو كذلك !.

ثم تابعت السير منادية ً باسمه وقد أخذ الرعب يسيطر عليها فجأة بسبب ما تخيلته .. فلقد تخيلت الرجل مع منشاره قد هاجم ألفن .. بل وتخيلت أنها إن ألتفتت إلى الوراء الآن ؛ فإنها ستجد الرجل المجنون خلفها .. فنظرت بذعر إلى الخلف ، لكن كان كل شيء هادئاً هدوئاً مرعباً .. كانت الرياح تحرك الأشجار ، وكانت

صراصير الليل تبعث في نفس كاترين شعوراً بالوحدة .. كانت الفتاة تلتفت إلى خلفها بين الفينة والأخرى ، وفي لحظة كانت مشغولة عن النظر إلى الأمام ، اصطدمت بجسم متسمر أمامها ، فنظرت إليه وهتفت قائلة : ألفن !.. ماذا تفعل هنا ؟!.

ولكنه لم يجبها .. كان متسمراً كخشبة مسندة وشاهدت في وجهه رعباً وذهولاً شديدين ، فقالت : أ .. ألفن ؟.. ما الأمر ؟!.

وكذلك لم يجب ، كان بصره مركّزاً على شيء ما ، فنظرت كاترين إلى حيث ينظر شقيقها ، وحاولت رؤية ما يراه لكنها لم تنجح إلا بعد كثير من التركيز فالظلام كان دامساً .. وحالما نجحت برؤية ما يراه ألفن شعرت بالدوار وتوقف شعورها بقدميها ، فلقد كانت تقف أمام كومة من الجثث الملقية هنا وهناك ، بعضها ينزف وبعضها قد تجمد الدم فيها ، بعضها بلا

أيدٍ وبعضها بلا أرجل وكان هناك أنصاف جثث أيضاً ، والشيء الذي أثار كاترين بشكل فظيع هو أحد هذه الجثث كانت بلا .. رأس !.

وضعت يديها على فمها وبدأت دموعها تنهمر دون أن تشعر بذلك وقالت بصوت متقطع وضعيف : ما .. هذا ؟!.

وعندما خفّ عن ألفن الروع ، أمسك بيد كاترين بقوة وصاح قائلاً : هيا !.

فركضا بأقصى ما يملكان من سرعة بالإتجاه المعاكس لما كانا أمامه منذ برهة ، وعندما ابتعدا قليلاً ، توقفا لإلتقاط أنفاسهما ، وجثَت كاترين على ركبتيها وهي تلهث وتتنفس بصعوبة وبدأت بالبكاء بصوتٍ لا يكاد يُسمع وهي تضع يديها على فمها . فأمسكها ألفن وضمّها إليه وهو يمسح على شعرها بلطف محاولاً تهدئتها وهو يقول : اهدئي يا عزيزتي .. سيكون كل شيء على ما يرام .. تمالكِ

نفسك .

وبعد بعض الوقت توقفت كاترين عن البكاء والتقطت أنفاسها ثم قالت : أنا آسفة .

فأبتسم ألفن وقال : هل أنتي بخير الآن ؟

_ نعم ، أشكرك .

وبعد صمت قصير قالت بيأس : ماذا الآن ؟

لم يجب ألفن بشيء فقالت : لن أعود إلى البيت .

فنظر إليها دهِشاً دون أن ينبس ببنت شفة ، فتابعت تقول بغضب : أريد أن أفعل شيئاً لتخليص العالم من ذلك المجرم الحقير !.

فقال ألفن مبتسماً مطرق الرأس وبصوتٍ منخفض : أنتي مجنونة .

نظرت إليه قبل أن تهمّ بمجادلته ، فابتسمت بعد أن أدركت أنه يفكر بنفس طريقة تفكيرها ،

وأنه قد طرح على نفسه هذه الفكرة قبل وقت طويل .. أي بعد موت جاك بفترة وجيزة .. رأت ذلك في عينيه منذ ذلك الحين ، ولكنها رفضت التفكير به حتى .. وحاولت إستبعاده بأي طريقة ممكنة ، ولكنها الآن سعيدة لأنه يشاطرها الفكرة ذاتها . وفجأة قال : إنه مجنون !.

_ ماذا ؟.

_ إنه مجنون لقتله كل أولئك الأبرياء بتلك الطريقة الوحشية .. ليس طبيعياً من يفعل هذا .

فقالت كاترين : إنه ليس مجنوناً ، ليس هذا ما أظنه .

_ كيف ؟.. ماذا إذن ؟

_ لا شك أنه يشعر بإبتهاج ساديّ شديد عندما يقتل أو يرى أحداً يموت !

_ صحيح .. إنه يستمتع بقتل الناس وهذا أكثر ما يقلقني .. فإنه سيبذل ما بوسعه ليستمتع بقتلنا .. سيفعل أي شيء !.

_ لنفكر بطريقة يمكننا من خلالها أن نقضي عليه .

_ لا ، لا نستطيع القضاء عليه ، نحن ضعيفان وهو يملك منشاراً ، وسيستخدمه بطرق وحشية ، نحناج إلى نصب فخ نوقعه به .. ولكن هذا ليس ممكناً أيضاً .

عمّ الصمت لوقتٍ طويل ، ظلّ فيه ألفن وكاترين يفكران بعمق .. ثم قالت كاترين ببطء : أنا لدي فكرة ... سأكون الطُعم .

فنظر إليها ألفن مدهوشاً .. كلا ، إنها لا تمزح .. وجهها يبدو جاداً أكثر من أي وقت سبق !.. لم يدري بمَ يجيبها فقال ببلاهة : ماذا ؟

_ قلت إنني سأكون الطُعم .

_ لا شك أنكِ مجنونة !

_ لا ، لقد صوّرت كل شيء في عقلي .. سأقف في مكان مكشوف وأنادي باسمك على أننا افترقنا ، ليأتي الرجل ويحاول مهاجمتي بالمنشار ، فتنقضّ أنت عليه من الخلف .. لكن ما لم أجد له حلاً هو بإي شيء ستضربه أنت حتى يفقد وعيه من أول ضربة ؟

_ لا تكوني حمقاء !.. هل جننتِ ؟.. لن أقبل بإستخدامكِ كطعم !.

_ إنه حلنا الوحيد يا ألفن ، إما الموت أو المجازفة .

_ ولمَ تكون المجازفة بحياتك ؟.. ماذا لو قلت إنني سأكون الطُعم ؟

_ لا ، لأنني أخشى أن لا أتمكن من أداء دورك فأنت أقوى مني .. وأن لا تتمكن أنت من تفادي ضرباته بسرعة .

فقال بعصبية : وكيف أثق بأنكِ ستتمكنين من تفادي ضرباته ؟!.. ماذا لو تأذيتي ؟

_ هذا ليس مهماً يا ألفن ، فقط دعنا ننفذ الأمر .

_ بل إنه مهم ....

فقاطعته قائلة بحزم : سأنفذ هذه الخطة ، شئتَ أم أبيت .

صمت ألفن ونظر إليها بدهشة ، ثم قال بحزن : متهورة ، حمقاء وعنيدة !... لماذا يا كاترين .. لماذا تضحين بنفسك ؟

فأجابت قائلة بعد صمت قصير : أفضّل الموت مدافعةً عن نفسي على الموت هاربةً من مصيري .

*****

_ ألفن .. أين أنت يا أخي ؟.. ألفن ، أتسمعني ، أجبني يا ألفن !

في الوقت الذي كانت فيه كاترين تنادي بهذا وهي تسير ببطء محاولةً رفع صوتها قدر الإمكان ، كان ألفن يختبئ خلف مجموعة من الشجيرات قريباً منها ممسكاً بخشبة ثقيلة بإحدي يديه فيما يمسك بالأخرى حبلاً كان قد صنعه هو وأخته بعد أن مزقا معطفيهما بجهد كبير .

كان العرق قد بدأ يتكون على صدغيه بالرغم من برودة الجو ، فلقد كان في حالة قلق رهيبة وهو يراقب شقيقته التي ستواجه «الرجل » بعد قليل .. أمعن النظر فيها .. إنها خائفة .. إن ألفن يستطيع رؤية تعابير وجهها عندما تكون خائفة ولو كان على بعد مائة فرسخ منها !

كانت كاترين تتجول بقلق في مساحة محدودة من الغابة ، وتنتظر متأهبةً خروج الرجل

المجرم لتواجهه وينتهي هذا الكابوس ، لقد كانت متحمسة جداً قبل قدومها إلى الغابة ، ولكنها الآن تتحرق شوقاً للعودة إلى بيتها الهادئ بعيداً عن هذه الأشجار الكئيبة والجو المرعب هنا ، الأرجح أنها لن ترغب برؤية أي شجرة بعدُ في حياتها !.

وفجأة وبينما هي تمثل دورها ، إذ بها تسمع صوتاً قادماً من مكان غير بعيد .. وفوراً أوجس لها عقلها عن مصدر هذا الصوت فإذا بها تقول : منشار متحرك !.

لقد كانت تتوقع سماع هذا الصوت في أي لحظة ؛ ولهذا ميزته فوراً . تنهدت وأخذت نفساً عميقاً ثم قالت متحدية : حسناً ، هيا تعال أيها المجرم اللعين !.

كان الصوت يقترب شيئاً فشيئاً ويزداد معه قلق ألفن وكاترين ، وفجأة _ أو قل وأخيراً _ ظهر .. رجل طويل ، يرتدي رداءً أسود وقناعاً

أبيض ناصع البياض ، ويحمل بيده منشاراً ذا قبضة حمراء ، وكان الجزء الحاد من المنشار ملوثاً من كثرة أرواح الأبرياء التي زُهقت عليه !.

حملقت فيه كاترين مشدوهة وقد أخذ الرعب يجد له مكاناً في نفسها ، واستمر هذا لدقيقة أو نحوها ، لكنها كانت دهوراً طويلة بالنسبة لكاترين التي أدركت الآن فقط سبب تسمية هذه الغابة بغابة الموت !.

إن وجود شخص كهذا في مكان كهذا سيبعث الرعب في نفس أشجع رجل في العالم ، فكيف بفتاة صغيرة كهذه ؟!.

ولكنها تمكنت أخيراً من تمالك نفسها ، وبصقت على الأرض ثم قالت بإحتقار : وغد مهووس بأفلام الرعب السخيفة .

كان الرجل يتقدم نحوها ببطء ، فرجعت إلى

الخلف خطوتين حذرتين .. لم تكن ترى وجهه بسبب القناع ، ولكنها تخيلته يبتسم إبتسامة شيطانية ، هه ما الغريب في هذا ؟!.. شخص ساديّ لعين !.

قام الرجل _ بعد أن صارت لا تفصله عن كاترين غير ثلاث خطوات _ بتوجيه ضربة بمنشاره وقعت قريباً منها ، وعندما وجد نفسه قد اخطأ هدفه ، استشاط غضباً وأخذ يوجه ضرباته بشكل عشوائي فكانت تخطئ كاترين دون أن تحتاج هذه إلى بذل جهد كبير لتفاديها ، وسرعان ما أدركت كاترين خطورة الموقف ، وأدركت أن عليها أن تحرص على الإلتزام بالخطة التي وضعتها لنفسها ، فلقد كان عليها أن تعمل ليكون تركيز الرجل كله منصبّاً عليها ؛ حتى يتسنى لألفن مهاجمته من الخلف ، وبعد كثير من محاولات الرجل الفاشلة في إصابة كاترين بضرباته العشوائية تلك ، توقف فجأة

وأشتعلت نيران الغضب في عينيه من خلف قناعه ، كانت كاترين ثابتة في مكانها كأنما تنتظر هجومه بفارغ الصبر ، تقدم الرجل نحوها بخطوات بطيئة مسرفة في بطئها ، فأخذت الفتاة تتقهقر إلى الوراء بنفس بطء خطواته تقريباً ، وقالت لنفسها : إن هذه هي اللحظة المثالية للانتهاء من هذه المهزلة ، يجب أن أمتلك مزيداً من الشجاعة .

ألصقت ظهرها على شجرة ما ، فاقترب منها الرجل متلذذاً أكبر تلذذ بصيده الصغير .. لكنه ما كان ليقتلها قبل تعذيبها نفسياً بعد أن أفقدته صوابة منذ لحظات . قرّب الرجل منشاره إلى وجهها وهو يبتسم بخبث ، فما كان منها إلا أن أشاحت بوجهها إلى جانبها الأيسر آملةً من اللّٰه أن يحضر ألفن قبل فوات الأوان .. « إنه يراقب .. فلماذا لم يأتي بعد ؟.. أينتظر أن يقطع هذا الساديّ عنقي كي يأتي

هذا المغفل ؟!.. يا للهول ، أين أنت يا ألفن ؟!
».

كذلك كانت تسأل نفسها وقد بلغ خوفها حداً لا يمكن وصفه بعد أن أدركت أن ألفن قد تأخر بالفعل .. أيقنت أن هنالك ما حدث لشقيقها منعه من القدوم لإنقاذها كما أتفقا ،

أغمضت عينيها واستسلمت للأمر الواقع .. لقد توقعت أن ينتهي الأمر كذلك على أية حال ، فلقد كان إحتمال نجاتها ضئيل جداً ، أخذت تستعرض ذكرياتها محاولةً أن تموت بينما تفكر في أشياء جميلة ومنيرة فهذا أقل ما تستطيع أن تمنحه لنفسها بعد هذا اليوم الشاق ، وفجأة تذكرت .. تذكرت ذلك المنظر البشع الذي رأته منذ وقت قصير ، أولئك الناس الأبرياء الذين قتلهم هذا المجرم ، تذكرت جسد ذلك الشخص الذي قُدر له أن يموت بطريقة بشعة هي قطع رأسه .. لا ! إنها لن تستسلم الآن ، إنها ترى أن

من الواجب عليها أن تكون المنتقمة لأولئك الأشخاص ، بدل أن تصبح واحدة منهم !

استعرضت كل هذا في ذاكرتها بما يشبه الومضة ، ثم فتحت عينيها فإذا بها تبتسم لرؤية ألفن وهو يهوي بضربة على مؤخرة رأس الرجل بخشبةٍ سميكة ، فتمايل الرجل قليلاً ولكنه لم يسقط ، فأختفت الإبتسامة عن وجه كاترين التي ركلت الرجل بكل ما بقي لها من قوة على قدمه حتى افقدته توازنه ومع ذلك ما زال لم يسقط بعد ، صاح ألفن بهلع : أي وحش هذا ؟!!

وهنا قام الرجل بتوجيه منشاره نحو ألفن فأُصيب بخدش في كتفه صرخ إثر ذلك صرخة ألم ، وصاحت كاترين بنفس الوقت قائلة : ألفن !

فرمى ألفن الخشبة إلى كاترين التي تناولتها بشكل لا إرادي وألقت بها صوب رأس الرجل

الطويل الذي لم يكن بالسرعة ليوقفها .. تمايل الرجل قليلاً فقام كلٌ من كاترين وألفن بدفعه بقوة حتى سقط أخيراً وأفلت المنشار من يده فأسرعت كاترين لأخذه ورميه بعيداً . وأخذ ألفن الحبل وحاول جاهداً تقييد الرجل ، إلا أنه تمكن من الإفلات وعاد إلى الوراء قليلاً ساحباً نفسه بإستخدام مؤخرته وراحتا يديه ، ثم استدار ليفاجأ بالخشبة القوية تضرب وجهه من قِبل كاترين التي فعلت هذا وهي تقول بغضب تخالطه سعادة إجرامية : خذ هذا أيها الغبي !

فسقط أرضاً وصاحت كاترين قائلة : قيّده يا ألفن ، هيا !

إلا أن ألفن لم يفعل شيئاً ، فنظرت إليه وقالت بعصبية : ما خطبك ؟!

فقُتحت حدقتا عينيها على مصراعيهما حالما رأت أخاها يتألم بشدة ، فهعرعت نحوه وجثت

على ركبتيها فيما تمسكه من كتفيه لتبقيه منتصباً في جلسته وهي تقول : ألفن !.. ياإلهي ، ما الأمر ؟!

فقال بصوتٍ ضعيف : أنا بخير ، لا تدعيه يهرب .

_ ماذا .. ماذا عنك ؟!

_ قلت إنني بخير .. الرجل ...

_ ألفن ، أنت لست على ما يرام ، كان منشاره ملوثاً ، عليك أن ....

فقاطعها قائلاً بعصبية : لا تهتمي لأمري .. سوف يهرب !

فقامت بعد تردد وهي تنظر إليه بقلق لبعض الوقت ، ثم استدارت وهي تلتقط الحبل عن الأرض ، لتُصدم بعدم وجود الرجل هناك ، فقالت بسخط : اللعنة !.. لمَ يحدث هذا ؟!

ثم تلفتت قليلاً في الأرجاء لكن لم يكن هناك

أي أثر أو حركة بالجوار .. وقفت دون حراك وهي تفكر فيما ستفعله الآن ، تأملت المكان لبعض الوقت بعينيها ثم وقع بصرها على شيء ما، فاخذت نفساً عميقاً وتنهدت براحة فلقد وجدت الحل .

*****

اقتربت كاترين من ألفن وهي تمزق قطعة من قميصها الطويل ثم تربطها على الجرح في كتفه ، فيما سألها هو بقلق قائلاً : ماذا حدث ؟

فأجابته بسرعة : لا تقلق ، كل شيء يسير على خير ما يرام .

فتنهد براحة وهو يقول : الحمد لله ، أحسنتِ يا أختي !

فابتسمت بهدوء وهي تتمتم بشرود قائلة : نعم ، كل شيء يسير على خير ما يرام .

بعد ذلك بوقت قصير ، كان ألفن يصيح بغضب قائلاً : هرب ؟!..

_ هدئ من روعك يا ألفن ، عليك الوثوق بي.

_ هذا ما حدث بالفعل ، لكنكِ....

فتوقف عمّا كان يوشك أن يقوله ، فقالت كاترين : حسناً ، لم أكن أهلاً للثقة في المرة الأولى ، لكن .. الكل يستحق فرصة ثانية .

فصمت ومازال الغضب يعتريه ، فقالت : ولا تنسى أنني تأخرت عن تقييده بسبب تألمك من هذا الجرح .

فقال بحدة : أخبرتكِ ألاّ تهتمي لأمري ، هل تنوين إلقاء اللوم عليّ الآن ؟

_ لا ، أنا لا ألومك .. أعرفُ جيداً أنني المُلامة ولكنني أثق بقدرتي على تصحيح خطئي .

فصمت ألفن محاولاً قدر المستطاع السيطرة على أعصابه ، ثم قال : حسناً ، ماذا أنتِ

بفاعلة ؟

فابتسمت كاترين براحةٍ فقد قرر الوثوق بها.

نظر إليها بذهول وهو يغمغم قائلاً : لا أصدق !

كانت كاترين تقف متباهية بشيء تمسكه بيدها ، قالت : بل صدّق يا عزيزي ، لقد كان الرجل غبياً ، لم أتوقع أنه ضعيف وجبان إلى هذا الحد .

فقال بسعادة كسعادة الأطفال : إذن ، فلابد أن تنجح خطتك .

_ هذا ما أرجوه ، المنشار سيساعدنا كثيراً .

نعم ، لقد كان المنشار هو ما كانت تتباهى به كاترين منذ قليل ، فالرجل هرب كقط مرعوب دون أن يأخذ منشاره الذي كان قد أسقطه ، أدرك الأخوَان الآن أن الرجل الذي يخشاه كل من يسمع عنه ، والذي قتل عشرات الأبرياء هنا

من بينهم جاك ، لم يكن سوى شخص جبان وتافه سيهرب ما إن يواجهه شخص ما ، أدركا أنه لو كان أحد أولئك الضحايا قد حاول أن يواجهه وأن يمتلك شجاعة أكبر بقليل مما لديه ، فإنه كان سينقذ حياته .

قال ألفن محذراً أخته مما تحمله بيديها : إياكِ واستخدامه بطرق وحشية ، إتفقنا ؟

_ لا تقلق ، سنهدده به وحسب .

_ حسناً إذن ، سننتظر شروق الشمس ، لن نستطيع القيام بأي شيء في الظلام .

كانت الفترة مابين منتصف الليل وشروق الشمس هي التي تناقش بها الأخوين حول خطة القبض على الرجل المجرم ، إنه لأمر مضحك !.. فالصيد تحول فجأة ليصبح الصائد !.

أياً يكن ، فحال تسلل الشمس من خلف

الأشجار نهض ألفن وهو يقول : حسناً ، هيا بنا .

فاومأت كاترين برأسها وبدئا بالسير بحثاً عن المجرم ، كانا قد فتشا في عدة أماكن داخل الغابة عنه ، ولم يبقى إلا القليل فقط ..

سيعودان إلى البيت أخيراً ، « لم يبقى إلا القليل » هذا ما كانا يرددانه طيلة الوقت ، إنهما جائعَين ومتعبين ويشعران بالبرد بعد أن مزقا معطفيهما الصوفيين ليصنعا منهما حبلاً ، استمرا بالسير لبعض الوقت .. كانت كاترين تسير في المقدمة ويسير ألفن خلفها حاملاً المنشار ، حتى إذا لمحت شيئاً أعلمته ، وفجأة توقفت كاترين عن المشي أمام بعض الشجيرات المتشابكة مع بعضها ، فهمّ ألفن بسؤالها عن الأمر إلا أنها أشارت إليه بأن يحافظ على الهدوء ، مشت بهدوء كبير خطوة أو أثنتين ثم وقفت على أصابع قدميها لترى

ماذا يوجد خلف هذه الشجيرات ، ورفع ألفن نفسه كذلك ونظر من فوق كتفها ليفاجأ برؤية شخصٍ ما هناك ، وأدرك فوراً أن هذا الشخص هو نفسه ذلك الرجل المجرم .. كان واضحاً لهما أنه نائم ، همست كاترين بأذُن أخيها قائلة : أمسكه أنت وسأقوم أنا بتقييده .

فاومأ برأسه موافقاً وهمّ بالتنفيذ ، اقترب من الرجل قليلاً وبهدوء أمسك بيديّ الرجل والتفت نحو كاترين التي اقتربت وهي تحاول ربط الحبل حول يديه ، ولكن حدث شيء أوقفها عمّا كانت تفعله ، فتح الرجل عينيه فجأة وتصاعد الشرر من ثقوب القناع ، وقام بدفعهما بعنف كلاهما ، ونهض راكضاً للإبتعاد عنهما ، قفز ألفن بسرعة وهو يصيح قائلاً : كاترين ، أسرعي !.

وركض بأقصى سرعتة خلف الرجل ، ولحقته كاترين التي كانت قد ألتوت قدمها إثر دفع

الرجل لها ، فكان ركضها بطيء نسبياً ، فلم تتمكن من اللحاق بألفن في الوقت المناسب لتمنعه من القفز وسط شجيرات شائكة كان الرجل قد هرب من خلالها فلحقه ألفن بشكل آلي إلى وسط تلك الأشواك متجاهلاً صياح كاترين الذي كانت تقول فيه : ألفن لا ، لا تفعل !

ولكنها تأخرت ، فقالت لنفسها بإستياء : يال إندفاعه !

ولكن هذا لم يمنعها من اللحاق به ، فلقد دخلت وسط الشجيرات مطلقةً أتّات ألم بسبب وخز الأشواك لجسمها ، لتجد نفسها في مكان آخر من الغابة ، كانت تلك الشجيرات تمثل حاجزاً بين مكانين كبيرين في غابة الموت ، ولكن كل ذلك لم يكن يهمها فلقد كانت ترى أمامها معركة بين ألفن والرجل صاحب القناع المخيف ، كانت معركة بالأيدي وكان المنشار

مرمياً بعيداً عنهما فأسرعت لأخذه وضربت الرجل بقوة بالجزء البلاستيكي منه، وهي تقول بسخط : هذه معركة غير عادلة !

سقط الرجل أرضاً وأفلت قبضته عن ألفن الذي كان يتألم بشدة ، ولكن الرجل عاود النهوض بسرعة وقام بدفع كاترين بعنف حتى طرحها أرضاً فسقط المنشار من يدها ، واقترب منها ومدّ يده إلى عنقها ، نظرت كاترين إلى عينيه الخبيثتين وهو يحكم قبضته على عنقها دون رحمة ، كان يبتسم إبتسامة شيطانية ، وقد كان هذا واضحاً من عينيه .. شعرت بقدرتها على التنفس تتضائل ، كانت تضرب يديه في محاولة منها أن تزيح عنها قبضتة التي كانت ستقتلها حتماً لو أستمرت لقليلٍ من الوقت بعد ، لكن قوتها ضعفت كثيراً فأصبحت ضرباتها له تشبه الدغدغة لا أكثر ، شعرت بأن هذه اللحظة هي

لحظتها ، رأت شريط حياتها يمر أمامها بسرعة ويختفي .. ولكن مهلاً !.. هل نسيَت شيئاً ما ؟ بالطبع ! لقد نسيَت أن ألفن ما يزال هنا !

فجأة كان ألفن يندفع بقوة نحو الرجل وتتطاير شرارات الغضب من عينيه ، كان يحمل المنشار بكِلتا يديه وأصاب قدم الرجل بقوة حتى تتطاير الدم ولطخ ملابس كاترين التي سقطت على ركبتيها وهي تضع يدها على عنقها وتتنفس بصعوبة ، ركض ألفن نحوها وهو يقول : كاترين ، هل أنتِ بخير يا عزيزتي ؟

_ آه .. لقد كاد يقتلني !.. أنا بخير الآن .

تنهد وقال : الحمد لله !.

ثم تمكن أخيراً من تقييد الرجل وقال مبتسماً : أتعرفين ماذا سنفعل الآن ؟

صمتت كاترين فقد كانت غير موافقة على هذا

الجزء من الخطة ، فقال الأخ الأكبر : سننطلق به إلى منزل السيد جورج .

قالت بعصبية : أخبرتك أنني لا أثق به !

قال بهدوء : ومن يهتم بهذا الآن يا أختاه ؟

_ ماذا ؟!

ثم قال وقد بدى جاداً جداً هذه المرة : حاولي أن تهدأي أرجوكِ ، أريد بشدةٍ أن ينتهي الأمر .

شعرت كاترين بالغضب وهمّت بالمجادلة ، إلا أنها توقفت وقررت التصرف بنفسها عندما يحين الوقت المناسب .

*****

كانت الساعة التاسعة صباحاً حين سمعت السيدة ماري طرقاً عنيفاً على باب منزلها فأسرعت لفتحه لتفاجأ برؤية ألفن يمسك برجل يرتدي رداءً أسود وقناعاً مخيفاً وتقف

كاترين خلفه وهي تتلفت يمنة ويسرة كمن تبحث عن شيءٍ ما . دُهشت السيدة ماري وشعرت بالذعر ينتابها ، وقبل أن تقول شيئاً ً بادرها ألفن بتحية مع إبتسامة خرقاء ، ثم قال : هل تسمحين لنا بالدخول يا سيدتي ؟

نظرت السيدة إلى الرجل وعلامات القلق بادية على وجهها ، ثم قالت باسمة : طبعاً ً ، طبعاً ً . هيا تفضل بالدخول .

وما إن دخلوا حتى قالت السيدة ماري بسرعة : من هذا الرجل ؟!

أجلس ألفن الرجل بجانب الطاولة وقال للسيدة قبل أن يجيب على سؤالها : هل أجد لديكِ حبلاً ً ؟

فأسرعت السيدة ماري إلى الغرفة المجاورة وعادت بعد لحظات ممسكةً بحبل سميك وأعطته لألفن الذي قام فوراً ً بتقييد يديّ

الرجل بإحدى أرجل الطاولة ، وما إن انتهى حتى أجاب على سؤال السيدة ماري بقوله : هذا يا سيدتي .. هو الرجل الذي قتل عشرات الأبرياء داخل هذه الغابة .

ثم استطرد بعد لحظات : نعتذر بشدة عن إزعاجكِ بهذه الساعة المبكرة .

ثم قالت كاترين بسرعة : أنستطيع استخدام الهاتف ؟

صمتت السيدة ماري للحظات قبل أن تجيب كان من الواضح أنها كارهة لكل ما يحدث هنا ، من الوقاحة أن يأتي مراهقان غبيان بمجرمٍ معتوه إلى منزلها وبدون سابق إنذار ، ولكنها قالت : طبعاً ً يمكنكِ ذلك . ولكن ألا تريدان تناول الإفطار أولاً ً ؟ إنكما تبدوان في حالة مزرية !

فتهالك ألفن على أحد المقاعد وهو يقول : اه

يا سيدتي .. كم إنكِ محقة !

فابتسمت السيدة ماري وقالت : إذن استريحا بينما أعدُّ الطعام .

وبعد تناول الطعام قالت كاترين : هل السيد جورج يحرس الغابة كالعادة ؟

_ نعم ، لقد خرج في وقتٍ مبكر ولن يعود قبل موعد الغداء ، لماذا هل تريدين رؤيته ؟ يمكنني الذهاب لمناداته لو أردتِ .

فقالت كاترين بسرعة : لا لا ، لا داعي لهذا .

ثم قالت السيدة ماري محدثةً الأخوين بأسلوبٍ أقرب إلى التوبيخ : والآن .. أيمكنني أن أعرف مالذي حدث بالضبط ؟

فهمّ ألفن بالحديث إلا أن كاترين قاطعته بقولها : عليّ استخدام الهاتف يا سيدتي .

_ نعم نعم ، يمكنكِ الذهاب واستخدامه .

ذهبت كاترين وبدأ ألفن يقصُ للسيدة ماري ما حدث بحماس ، ولكن كاترين قطعت عليه انفعاله بأن عادت بعد دقيقة واحدة وهي تقول : إن الهاتف معطل يا سيدة ماري .

فقالت السيدة ماري ساخطة بصوت منخفض : اللعنة ، ها قد تعطل ثانيةً !

ثم قالت موجهةً حديثها إلى كاترين : إننا نواجه مشاكل كبيرة في الهاتف كل يوم يا عزيزتي ، ويبدو أن الأسلاك قد قُطعت بسبب الأمطار الغزيرة بالأمس . هل تحتاجين لإستخدامه بشدة الآن ؟

فأجابت كاترين بثبات : إنها مسألة حياة أو موت .

نظر إليها ألفن دهِشاً ثم قال : ماذا سنفعل الآن ؟

عمّ الصمت لبعض الوقت ثم قالت السيدة ماري ببطء : سأذهب لمناداة جورج علّه يفعل شيئاً حيال هذا الرجل .

قالت هذا مشيرة إلى الرجل المقيد ، وهمّت بالإنصراف إلا أن كاترين وقفت حائلاً دون وصولها إلى الباب وقالت : لا داعي لذلك يا سيدة ماري .

نظرت إليها السيدة ماري لتلاقيها كاترين بنظرات ثابتة مع إبتسامة هادئة ، ثم قالت الأولى : لا بأس بهذا يا آنستي ، يمكن لجورج أن يفعل شيئاً .

وسارت خطوة لتكمل الطريق إلى الباب ولكن كاترين منعتها من التقدم وهي تقول : لا ، بل ستبقين هنا يا سيدتي .

فصمتت السيدة لبرهة ثم ضحكت بعصبية وهي تقول : حسناً ، ما معنى هذا ؟!

فقال ألفن متحيراً : كاترين ؟

ولكنها لم تتزحزح من مكانها فظهرت علامات الغضب الشديد على وجه السيدة العجوز ثم قفزت كقطة غاضبة إلى مقبض الباب وهي تصيح قائلة بسخط : أبتعدي أيتها الحشرة اللعينة !

فقامت كاترين بدفعها بقوة حتى سقطت مغميا عليها وفي نفس تلك اللحظة كان الباب قد فُتح بقوةٍ واندفع عدة رجال إلى الداخل وهم يصيحون : الشرطة ! ألزموا أماكنكم .

فجثت كاترين على ركبتيها وهي تتنهد براحة وتقول : انتهى الأمر أخيراً .

انتشر الشرطة لتفتيش المنزل بينما تقدم رجل من كاترين وهو يقول : لا شك أنكِ من استدعانا ، أنا المفتش نيل ويسرّني أن أخبركِ أننا قبضنا على العجوز وهو يحاول الفرار .

فنظر ألفن إلى المفتش أولاً وإلى كاترين ثانياً ثم قال بدهشة وحيرة : ماذا يحدث هنا بحق السماء ؟!

فأبتسمت كاترين في وجهه دون أن تقول شيئا ، ثم جاء أحد رجال الشرطة وقال محدثاً المفتش نيل : عثرنا على المجرم مقيداً يا سيدي .

_ جيد . ضعوه في السيارة هو وهذه السيدة.

_ حاضر سيدي .

وانصرف للتنفيذ هو والرجال الآخرون وقال المفتش للأخوين : وأنتما أيضاً إلى السيارة ، سنعيدكما إلى بيتكما الآن .

فقالت كاترين بسرور : هذا رائع ، أشتقتُ كثيرا للعودة إلى البيت .

ما إن وصل ألفن وكاترين إلى منزلهما حتى

رمت هذه الأخيرة نفسها على السرير وأغمضت عينيها ، كانت مسرورة كمن حقق نصراً عظيما للتو ، فيما كان ألفن متحيراً وغاضباً في الوقت نفسه ثم قال : أريد أن أفهم كل شيء الآن .

فتمتمت كاترين : ليس الآن يا أخي ، ليس الآن .

_ بل الآن وفي هذه اللحظة !

فجلست بتململ وهي تقول : يالك من فتىً مزعج !

لكنه تجاهل ما قالته للتو وسألها : متى أستدعيتِ الشرطة ؟

_ في الوقت الذي كانت فيه السيدة تعدُّ الطعام ، شككتُ منذ البداية في أمر هذين الزوجين ولم أثق بهما للحظة واحدة ، علمتُ أنها ستفعل شيئاً لتمنعني من الإتصال

بالشرطة ، وعندما قالت إنها ستعدٌ الطعام لنا أدركتُ أنها ذاهبة لفعل شيء ما للهاتف ، فأسرعتُ لاستخدامه قبل أن تسنح لها الفرصة لتعطيله ، وأخبرتُ المفتش نيل أن يحضر حالاً هو ورجاله إلى الغابة المعروفة بغابة الموت وأن يقبضوا على حارسها ، ثم يأتوا إلى منزله لإنقاذ شخصين من الموت المحقّق . وقد حاول المفتش معرفة تفاصيل أكثر مني ولكن في تلك اللحظة بالذات تعطل الهاتف فذهبتُ لأجد المطبخ خالياً والسيدة ماري غير موجودة فيه . وقد حاولت كما رأيتَ أن تذهب لإستدعاء زوجها عدة مرات لولا أن منعتُها من الذهاب ، فقد كانت تنوي إحضار جورج إلى المنزل لتتعاون معه على التخلص منّا .

فقال ألفن بحيرة : ولكن لماذا ؟ لماذا تريد التخلص منّا ؟!

ـ كي لا نستدعي الشرطة للقبض على الرجل .

_ لماذا ؟! .. كذلك هتف ألفن نافد الصبر ، فقالت كاترين : ألفن أيها الغبي ، ألم تفهم بعد ؟!.. إن هذا الرجل ليس سوى ابن السيدة ماري والسيد جورج !

فصُدم ألفن وقال : ماذا ؟! .. ولكن منذ متى وأنتِ تعرفين هذا ؟

فصاحت وقد بلغت ذروة الإنفعال : خمّنتُ وحسب ! ولم أكن أعرف يقيناً ، وقد كان ليّ متسع من الوقت لأفكر بهذا الأمر ، ففي الوقت الذي كنتَ تجبرني فيه على السير صامتة ، كنت أنا أدرس الأمر بكل تفاصيله ، رأيتُ أن كل الأحداث تبدو متناسقةً إذا ما ربطتها ببعضها ، أولاً حراسة السيد جورج للغابة دون أن يتلقى أجراً ، والتجاعيد في وجه السيدة ماري التي تجعلها تبدو أكبر من عمرها بعشرين سنة على الأقل !.. وشحوب وجه جورج حينما رأينا ابنه في العلّية وتصرفاتهما الغريبة ،

وشفقتهما المبالغ فيها علينا ، كل هذه الأشياء أكدّت لي أنهما مذنبان ويخفيان سراً ما ، إن هذا يبدو متناسباً تماماً ، ابنهما مجرم ويقتل الناس لأسباب مجهولة وهما لا يستطيعان إيقافه ولا يقدران على تبليغ الشرطة بأمره لأنهما بهذا سيأخذانه إلى المقصلة بأيديهما !.

فقال ألفن : إن هذا تفكير ذكي منكِ يا كاترين ، ولكن كيف أمتلكتِ الجرأة لتبليغ الشرطة على أفكار لا يمكنكِ تأييدها بدليل ؟

_ لا أعرف ، كنتُ يائسة وكنتَ أنت تأخذنا إلى الهلاك بتصرفاتك الحمقاء ، فكان عليّ فعل شيء وبسرعة .

_ ألم يكن من السهل على السيدة ماري أن تضع لنا كمية قليلة من السم في الطعام ، وبهذا توفر على نفسها كل هذا العناء .ثم ضحك وقال : لو كنتُ مكانها لفعلتُ ذلك ببساطة .

_ يا عزيزي ، السم ليس موجوداً في جيب كل شخص ، وقد فكرتُ بهذا طبعاً إلا أنني أستبعدت الفكرة سريعاً فليست السيدة ماري من طراز النساء اللاتي يقمن بوضع السم ببساطة في طعام أحدهم .

فتثائب ألفن ثم قال بحزن : أحسنتِ .. أحسنتِ حقاً يا أختي الصغيرة .

فضحكت وقالت : لا تحزن ، واعترف بصدق أنني غلبتكَ يا ألفن .

_ حسناً ، أنا أعترف بأنكِ ذكية ، وهذه نقطة لك وسيأتي يومٌ ألعب فيه أنا دور البطل الذكي .

ثانيةً وقالت ساخرة : سأنتظر هذا اليوم بفارغ الصبر .

_ تمّت _